Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عباس العقاد

بين اليمين واليسار

رجاء النقاش

دار المريخ للنشر

Bibliotheca Alexandrina
0007535

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عباس العقاد

بين اليمين واليسار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

© طبعة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ الرياض

دار المريخ للنشر

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

لا يجوز استنساخ أي جزء من هذا الكتاب أو اختزانه بأي وسيلة إلا بإذن خطي من الناشر — ص ب ١٠٧٢٠ (الرياض ١١٤٤٣)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجاء النقاش

عباس العقاد

بين اليمين واليسار

دار المريخ
للنشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدّمـة

فى هذا الكتـاب محـاولة لتقـديم دراسـة عن عبـاس محمود العقاد وحياته السياسية . ولقد كانت الفكرة الأساسية فى تأليف هذا الكتاب ، هى محاولة تقديم دراسة شاملة عن العقاد ، فى مختلف جوانب شخصيته ، فى السياسة والأدب والحياة . ولكننى عندما بدأت أجمع مادة الدراسة ، وجدت ان العقاد قد عاش فترة طويلة فى الحياة الأدبية والسياسية ، وامتد نشاطه من سنة ١٩٠٦ تقريبا ، حتى وفاته سنة ١٩٦٤ ، وهو فى خلال هذه الفترة التى تقرب من ستين عاما ، يكتب بانتظام ، ويساهم فى الحياة السياسية عن طريق الفكر ، أو عن طريق العمل المبـاشر فى عضوية مجلس النواب ، أو عضوية مجلس الشيوخ . وهو فى معظم الأحوال وحتى قيام ثورة ١٩٥٢ عضو فى حزب من الأحزاب ، يناصره ويصطدم بأعدائه السياسيين ، ومن هنا كان من الصعب تقديم دراسة واحدة ، تشمل كل جوانب العقاد فى الأدب والفكر والحياة ، لأن مثل هذه الدراسة سوف تصل إلى ألف صفحة أو تزيد على ذلك ، وهو أمر يمثل عقبة عملية بالنسبة للكاتب والقارىء والنـاشر على السواء ، ومن هنا آثرت ان أقدم دراستى عن العقاد فى كتابين ، واخترت أن يكون الكتاب الأول عن العقاد وحياته السياسية ، ثم يكون الكتاب الثانى عن العقاد وحياته الأدبية .

وكـان اختيارى للبداية بحياة العقاد السياسية راجعا إلى عدة أسباب ، فهناك تجاهل أو شبه تجاهل من الدارسين لحياة العقاد السياسية وفكره السياسى . ويعـود ذلك إلى صعوبة الإحاطة بكتابات العقاد السياسة ، لأنها مقالات منشورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى عشرات الصحف والمجلات على مدى زمن طويل يزيد على نصف قرن ، ولم يحرص العقاد فى حياته على جمع هذه المقالات فى كتب ، إما لانشغاله عن القيام بهذه المهمة ، او لاعتقاده أن نزع هذه المقالات من الصحف قد يترتب عليه نوع من اساءة فهمها ، حيث أن المقال السياسى فى الصحيفة يكون مرتبطا بظروف نشره ، وبالأحداث التى تدور حوله ، ونزع المقال من الصحيفة قد يعزله عن هذه الظروف ويؤدى إلى إساءة فهمه ، خاصة وأن العقاد قد اتخذ عديدا من المواقف السياسية التى تبدو متناقضة ، فهو تارة يكتب فى صحف الوفد ويؤيد الوفد ، وهو تارة أخرى يعارض الوفد ويكتب فى صحف خصومه السياسيين وهكذا .

على أننى لاحظت عموما ، أن هناك نوعا من عدم الاهتمام الذى يكاد يبلغ درجة عدم الاحترام لكتابات العقاد السياسية ، رغم كثرتها وتنوعها ، وما احدثته فى وقت ظهورها من ضجيج فى الأوساط السياسية ، وفى أوساط الرأى العام .

وعدم الاحترام هذا ، أو عدم الاهتمام بالجانب السياسى فى شخصية العقاد ، يكاد يشترك فيه كل الباحثين فى حياة العقاد ، بل لقد كنت أحس احيانا ان العقاد نفسه يكاد يشعر بأن هذا الجانب فى حياته وفكره ، لم يكن جانبا جديا يستحق الاهتمام ، اما الجانب الذى يستحق الاهتمام ، فهو الجانب الادبى او الفكرى وحدهما ، ومن هنا ولد سبب آخر لعدم اهتمامه بجمع ما كتبه فى السياسة ... لقد كان يعتبر نفسه اديبا وناقدا ومفكرا دينيا بالدرجة الاولى ، اما ما يخالف ذلك فهو على الهامش ، ولعله كان نوعا من انواع المهنة التى اضطرته اليها ظروف الحياة ، وسواء كان هذا الاحساس عندى بعدم اهتمام العقاد بما كتبه فى السياسة صحيحا أو خاطئا ، فالنتيجة واحدة ... ذلك لان العقاد لم يهتم بجمع كتاباته السياسية ولم يحرص على نشرها فى كتب اثناء حياته ، وسار الباحثون فى شخصية العقاد على هذا الطريق ، فلم يظهروا اهتماما بالجانب السياسى فى شخصيته ، اللهم الا فى حدود ضيقة لا تكفى للكشف عن حياة العقاد السياسية بصورة سليمة .

وهذا الموقف هو موقف معظم الباحثين فى حياة الجيل الاول من ادبائنا العرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعاصرين للعقاد ، من أمثال طه حسين والمازنى وتوفيق الحكيم والرافعى وزكى مبارك وسلامة موسى وهيكل ويحيى حقى . فالشائع فى الدراسات المختلفة عن هؤلاء الكتاب والادباء ، هو دراسة الجانب الادبى والفكرى فقط ... اما دراسة الجانب السياسى فى حياة هؤلاء الكتاب فهو امر شبه مهمل وشبه معدوم ، رغم ان هؤلاء الكتاب جميعا قد اشتغلوا بالسياسة بصورة أو بأخرى ، وبشكل يختلف بين الواحد منهم وبين الآخر ، كما انهم جميعا قد تأثروا بعملهم السياسى ، وأثروا ايضا على الرأى العام عن طريق العمل السياسى بدرجات متفاوتة من التأثير ، وهذا الموقف من جانب الباحثين المعاصرين هو موقف خاطىء ولا شك ، لانه يلغى جانبا هاما من جوانب حياتنا الفكرية ، كان له قيمته وتأثيره وما زال له حتى الان له قيمة وتأثير .

فهناك قضايا خدمها هؤلاء المفكرون بعملهم السياسى ، وهناك قضايا أخرى اخطأوا فيها وقصروا فى خدمتها من خلال هذا المجال السياسى بالذات .

وقد حاولت من قبل ان أقدم بعض الدراسات المحدودة فى هذا المجال ، مثل دراستى عن « طه حسين والاحزاب السياسية » وهى الدراسة المنشورة فى كتابى « أدباء معاصرون » كما قدمت فى نفس الكتاب دراسة قصيرة عن « مصر فى أدب توفيق الحكيم » .

*

واليوم أقدم للقارىء العربى الكريم هذه المحاولة عن العقاد بين اليمين واليسار أو « العقاد وحياته السياسية » والتى سوف أتبعها بدراسة اخرى عن العقاد وحياته الادبية .

وقد رجعت الى شتى الصحف والمجلات التى كتب فيها العقاد ، حتى استطيع ان أقدم فى آخر الامر صورة لفكره السياسى ، وهذه المحاولة هى فى ظنى محاولة ضرورية الى أبعد مدى من عدة جوانب رئيسية .

فهى ضرورية لفهم الحياة السياسية فى مصر بين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ . فقد اشتبك العقاد مع الحياة السياسية فى مصر طيلة هذه الفترة ، بكل ما عرف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه من عنف وحدة وداب وانتظام ، بحيث اصبحت دراسة فكره السياسى هى فى الواقع دراسة لمعظم التيارات الرئيسية فى الفكر السياسى المصرى خلال هذه الفترة الهامة من التاريخ ، فقد كان العقاد على صلة قوية مع هذه التيارات الفكرية السياسية : إما بالتعبير عنها ، أو بمعارضتها والوقوف منها موقف الخصومة والرفض ، وكان ممثلو هذه التيارات السياسية المختلفة يشعرون بأهمية موقف العقاد ، فيردون عليه او يساعدونه ويؤيدون آراءه .

فدراسة الفكر السياسى للعقاد ، هى فى الحقيقة دراسة للفكر السياسى المصرى خلال هذه الفترة الهامة من تاريخ مصر المعاصر ، وما لها من تأثير وانعكاسات على تاريخ الامة العربية بأكملها .

ومن ناحية أخرى نجد أن حياة العقاد الادبية قد تأثرت أشد التأثر بفكره السياسى ومواقفه السياسية ، ويكفى ان نقف امام ملاحظة واحدة هى ان العقاد كان اكبر المتحمسين والمبشرين بالتجديد الادبى خلال فترة ارتباطه بالوفد ، وبالحركة الوطنية الشعبية ، وأنه اصبح من معارضى التجديد الادبى ، ومن أشد خصومه بعد ان انتقل الى معسكر احزاب الاقلية وأخذ يدافع عن حكوماتها الرجعية .

ومن ناحية ثالثة فان العقاد قدم نموذجا واضحا للمفكر والاديب الذى لم ينعزل عن مجتمعه وعصره ، رغم ان صورته الخارجية هى صورة الانسان المتوحد المنعزل البعيد عن أحداث الحياة ، كأنه ذئب منفرد مبتعد عن الناس يخشاه الجميع ...

لقد كان العقاد على العكس منغمسا فى أحداث الحياة من حوله ، يشارك فى هذه الاحداث بالرأى الواضح الصريح ، وبالعمل المباشر والمواقف المختلفة ... واذا كان العقاد قد تحمل مسئولية الكاتب من وجهة نظره ... فماذا يمكن ان نخرج به من دراسة أفكاره ومواقفه السياسية؟ ماهو المدى الذى كان فيه صادقا وأمينا مع نفسه وعصره ، وما هو المدى الذى يخالف فيه ما يصح ان نسميه بالضمير العام ؟ ... ذلك ما يمكن ان تكشفه الدراسة ، بل ما يجب ان تكشفه دراسة من هذا النوع .

*

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كان يسيطر على نفسى احساس كبير وأنا اقوم باعداد هذه الدراسة... هذا الاحساس هو ان الكاتب لا يمكن ان يفلت من كلمة كتبها وتركها وراءه ... ان ما كتبه الكاتب فى اى لحظة من لحظات حياته هو قيد عليه ، وصوت يقف دائما ليحاسبه او يدافع عنه ... ومن هنا فان الكتابة مسئولية وعبء وضمير .

ولا يجوز للكاتب أن يتصور يوما أن ذاكرة الناس سوف تنسى بعض ما كتبه او سوف تنظر اليه بغير اهتمام ... ان الكتابة ليست مياها تتبخر بمرور الايام ، وليست دخانا يتبدد فى الهواء ... كل كلمة تطارد كاتبها وتمسك بخناقه وتجرى وراءه ، وتطالب بالحساب الصحيح والجزاء العادل .

ليس هناك كلمة تضيع فى الهواء ، او خطأ يختفى الى الابد ، او موقف شريف وحقيقى يمكن ان يضيع .

كل شىء يبقى ليوم من ايام الحساب او كل شىء كما يقول ابناء الشعب البسطاء « بحسابه » .

لا شىء يتلاشى او يتبدد . ومن هنا كان عبء الكلمة صعبا الى أبعد الحدود .

وها نحن نقدم هذه المحاولة فى دراسة كلمات لم يهتم العقاد ولا الباحثون من بعده بجمعها وتركوا معظمها تائها فى صفحات قديمة .

ولكنها كلمات هامة مع ذلك وهى كلمات تكشف عن جوانب القوة وجوانب الضعف فى شخصية العقاد ورؤيته لعصره ... انها كلمات تطارد العقاد بالورد أو بالشوك ولا تتخلى عنه بأى حال من الاحوال .

ولعل فى هذا الدرس الذى وعيته وأنا ابحث فى حياة العقاد السياسية ما يعلمنا جميعا ان الكلمة كما يقول الشاعر « أحمد حجازى » ـ « حمل وأمانة » و « القابض فى هذا العصر على كلمته كالمسك بالجمرة » .

وإن الكلمة تبقى لكاتبها أو تبقى عليه حتى النهاية ولا يجوز للكاتب ان يمسك القلم ليلهو أو ليتخفف من ضميره او ليجامل لان كل شىء باق ومحسوب ... ولا شىء يضيع او ينسى .

*

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخيرا أود ان اقول اننى فى هذا الكتاب لست مع العقاد او ضده ، رغم ما احمله من احترام وتقدير واعجاب بجهد العقاد الرائد ، فى ميدان الادب والفكر والسياسة . ولكننى حاولت ان أخرج من دائرة ذلك التقسيم الشائع للباحثين فى شخصية العقاد : بعضهم معه بحماس حتى اقصى درجات العشق والوجد الصوفى وهؤلاء لا يحتملون من احد أن ينقد العقاد ، او يشير الى خطأ من أخطائه ، والبعض الآخر ضد العقاد بحماس ايضا ، لا يجدون فيه خيرا ولا يعترفون له بأى فضيلة او موهبة ولا يحتملون كلمة اعجاب به او ثناء عليه .

الواقع ان هناك خانة ثالثة ما تزال خالية هى خانة البحث الموضوعى فى شخصية العقاد ... تعترف بما له وما عليه ، تعطيه ما يستحقه وتأخذ منه ما يزيد على حقه .. وفى هذه الخانة الثالثة الخالية حاولت ان اقف وأرجو أن أكون قد وفقت الى شىء مما أريد : خدمة للفكر العربى ... وخدمة للعقاد وللحقيقة فى آن واحد .

رجاء النقاش

القاهرة

سبتمبر ـ ايلول ـ ١٩٧٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تيارات واتجاهات

وصل العقاد الى القاهرة فى السنوات الاولى من هذا القرن، وذلك بعد ان ترك أسوان ، مدينة الشمس ، ومدينة مولده ونشأته وصباه ، وكانت القاهرة فى ذلك الحين مليئة بالتيارات العديدة المتنوعة ، كانت اشبه بالانسان الذى يفيق من حالة اغماء عنيف ويبدأ فى الاحساس بالدنيا من جديد .

وكانت حالة الاغماء التى اصابت مصر كلها نتيجة لفشل الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ .

لقد تبددت بهذا الفشل أحلام القرن التاسع عشر كلها ، تلك الاحلام التى دارت فى الرؤوس منذ ان عاد رفاعة الطهطاوى من باريس ، وعندما وقف عرابى فى ميدان عابدين ليطالب بحقوق الشعب ، ويعلن من فوق فرسه ان الخديوى اذا لم يستجب لهذه المطالب فان هناك كلمة اخرى سيقولها عرابى ورفاقه عند اللزوم ، اى ان الزعيم الفلاح سوف يرفع السلاح فى وجه الخديوى ويرغمه على اجابة المطالب الشعبية .

وأحلام القرن التاسع عشر هى نفسها الاحلام التى كانت تدور فى رأس عبدالله النديم عندما كان يصدر جريدة ساخرة خفيفة الظل أو عندما كان يلقى خطابا فى الجماهير المصرية حيث كان يمزج الشعر بالزجل ، والسجع بالاسترسال ، والنكتة بالتفكير الجدى الرصين ...

لقد تبددت هذه الاحلام كلها بعد ان فشلت الثورة العرابية ، وبعد ان تفرق الذين تجمعوا من أجل الحلم العظيم الاكبر وهو تحرير الفلاحين المصريين من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصر والشراكسة والاتراك والنفوذ الأوربى الجديد الناشىء ، وهذا الحلم نفسه هو بناء دولة عصرية تخدم هؤلاء الفلاحين بدلا من ان تخدم الخديوى والحريم والمتمصرين والتجار وأصحاب رؤوس الاموال الاجانب ، ولا يبقى للمصرى الفلاح فى هذه الدولة حتى ولا العظام القليلة ، وكانت الدولة العصرية آنذاك تعنى الشورى او الديمقراطية البرلمانية ، ثم بناء صناعة وطنية ، ثم توسيع نطاق التعليم حتى يشمل الجميع ، ثم حرية التفكير والتعبير فى البرلمان والصحف والكتب والاجتماعات السياسية المختلفة .

وبعد ان فشلت الثورة العرابية ودخل الخديوى توفيق القاهرة ـ يده فى يد الجنرال « ولسلى » قائد الغزاة الانجليز ـ بعد هذا الفشل سكنت روح مصر الثائرة وملأها الياس من كل جانب ، واستمر الامر على ذلك ما يقرب من عشرين عاما متصلة ، ولم يكد القرن العشرون يبدأ حتى بدأت معه الحيوية تدب من جديد فى أوصال البلد المهزوم .

والحقيقة ان الثورة العرابية كانت أشبه بسيل كبير غامر ، وكانت الفكرة المحركة للثورة هى التغيير الشامل للمجتمع فى كل وجوهه ، وعندما تصدى الاستعمار الانجليزى لهذه الثورة ، لم يستطع ان يقضى على السيل بصورة نهائية ، وكما استطاع ان يفعله هو تمزيق السيل الكبير الى قنوات صغيرة متفرقة ، كانت كل قناة تعمل وحدها منفصلة عن الأخرى فى ميدان مستقل وظلت هذه القنوات تعمل فى خفاء عن الأعين حتى بداية القرن العشرين ، فظهرت بوضوح وأصبح صوتها مسموعا من الجميع وكانت هذه القنوات تعمل بروح ثورية احيانا وبروح إصلاحية فى أحيان أخرى ، ولم تلتق هذه القنوات المختلفة مع بعضها البعض إلا فى ثورة ١٩١٩ ، حيث ظهر السيل من جديد وغذاه السخط الشعبى غذاء خصبا فاندفع يجرف ما أمامه ويتحداه .

وفى بداية هذا القرن ، ومن خلال تناقضات عديدة ضخمة بدأت الف شرارة وشرارة تشتعل فى مصر ، كل شرارة تحمل تيارا أساسيا من التيارات التى نبعت فى الاصل من ثورة عرابى ، وكان الذى يجمع بين معظم هذه التيارات هو الرغبة فى الخروج من اليأس العظيم إلى الأمل العظيم أو الخروج من الظلام إلى النور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولنقف لحظة أمام بعض هذه التيارات الرئيسية لعلنا بذلك نستطيع ان نعرف المناخ الفكرى فى هذه المرحلة وهى بداية القرن العشرين ، وهى المرحلة التى نشأ فيها عباس العقاد ، وحدد موقفه فى كثير من القضايا الرئيسية ، ولقد كانت هذه المرحلة من ناحية أخرى تحمل المقدمات المباشرة للثورة الوطنية الكبرى فى مصر والتى ظهرت فى أعنف صورها سنة ١٩١٩ ، وهى نفس الثورة التى برز فيها العقاد وساهم فى قيادتها الفكرية واستمد منها كثيرا من مواقفه وأفكاره بعد ذلك

*

كان هناك تيار يدعو الى تجديد التراث العربى الاسلامى حتى يتلاءم مع روح القرن العشرين ، وحضارة القرن العشرين ، وكان زعيم هذا التيار ومنبعه الاكبر هو الشيخ محمد عبده .

كان محمد عبده يريد ان يخرج المصريين والمسلمين عموما من التخلف الحضارى الكبير ، ومن اليأس المر الذى كان يسيطر عليهم نتيجة لهذا التخلف . فالإنسان فى مصر ـ فى ذلك الحين ـ لا يكاد ينظر الى نفسه نظرة سريعة حتى يدرك على الفور ما حل به من الدمار والانهيار ، وحتى يدرك انه فى مقياس الحضارة إنسان من الدرجة الثانية أو الثالثة ، وكان يكفى أن يقارن الانسان فى مصر بين أحوال أمته وأحوال الأمة المسيطرة عليه وهى الأمة الانجليزية حتى يصل الى هذا الشعور اليائس الحزين وفى هذا الميدان الحضارى بالذات وقف محمد عبده يشن حربه ويخوض معركته الكبيرة . إنه أحد زعماء الثورة العرابية ، وأحد الذين شربوا مرارة الفشل الثورى ، وأحد الذين انتهوا فى آخر الامر الى انه لابد من خوض معارك جزئية مختلفة ما دامت الثورة الشاملة قد فشلت .

وكانت المعركة الجزئية التى اختارها محمد عبده هى ازالة التناقض الشكلى الذى أقامته الرجعية الفكرية والدينية بين الاسلام والحضارة العصرية ، فالاسلام لا يرفض ـ فى روحه أو نصوصه ـ مظاهر التقدم فى الحضارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحديثة . وكان محمد عبده يتحدث فى أبسط الامور وأعقدها معا ، فكان يتحدث عن ان « التماثيل والصور » ليست حراما ، ما دامت تقوم بوظيفة كبرى هى حفظ تقاليد الناس وعاداتهم وأذواقهم ، وكان محمد عبده يكتب فى نفس الوقت الى الفنان والمفكر الروسى العظيم « تولستوى » والذى تحول فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن الى قديس يذيب نفسه دفاعا عن المغلوبين والمظلومين ، وكان محمد عبده يراسله ليبارك دعوته الى العدل بين الناس . وفى نفس الوقت كان محمد عبده يغذى الدعوة إلى تحرير المرأة وتعليمها . حتى لقد نسب إليه أعداؤه الذين كانوا يحاربونه ويحملون عليه أنه هو الذى ألف كتابى قاسم أمين المعروفين : « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وأنه تخفى تحت اسم قاسم أمين حرصا على مركزه الدينى .

وهكذا كان محمد عبده فى أوائل هذا القرن يخوض معركة جزئية ولكنها معركة كبيرة وكان فى هذه المعركة يمثل تيارا من التيارات المدوية التى بدأت تتحرك بعنف داخل المجتمع فى مصر ، وكان الهدف الأكبر من وراء هذا التيار هو تخليص الإسلام من الفهم الرجعى المتخلف ، الذى ينتهى به الى الوقوف فى وجه الحضارة العصرية . وبذلك تتجمد مصر ومن ورائها العالم العربى والإسلامى فى حدود تخلف حضارى كبير ، بحجة واهية خاطئة ، هى : ان الدين الاسلامى يريد ذلك ويدعو اليه .

*

والتيار الثانى الذى كان قائما فى هذه الفترة ايضا كان تيارا يمثله مصطفى كامل وهو تيار سياسى بالدرجة الاولى ، وكان مصطفى كامل يريد أن يمسح كل ما علق بقلب مصر من آثار اليأس بعد هزيمة العرابيين وهو نفس الهدف عند محمد عبده ، ولكن بأسلوب مختلف .

لقد كانت خطب مصطفى كامل نوعا من الشعر الرومانسى الجميل ، موضوعه مدح مصر والتغنى بعظمتها وجمالها ، ولعل مصطفى كامل كان يتصور انه من خلال هذا الموقف ، سوف يعيد الى قلوب المصريين عشقهم الكبير لبلادهم ، هذه المعشوقة التى لا يجوز ان يسلوها احد ، او يتخلى عن هواها انسان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان موقف مصطفى كامل من ناحية أخرى يعتمد على الربط بين مصر وتركيا ، بهدف ضرب انجلترا فى مصر والخلاص من سلطتها نهائيا . ولذلك اتجه مصطفى كامل الى السلطان العثمانى ، وجعل منه املا كبيرا فى تحرير مصر . وكان مصطفى كامل فى نفس الوقت يعتمد على فرنسا ليدين انكلترا أمام الرأى العام الأوروبى ، وكان يساعده فى هذا الأمر العداء العنيف الذى كان قائما بين انجلترا وفرنسا فى ذلك الحين ، وعندما حدث الاتفاق بين لندن وباريس سنة ١٩٠٤ وتضمن هذا الاتفاق اطلاق يد انجلترا فى مصر ، واطلاق يد فرنسا فى تونس والمغرب والجزائر ... فى هذا العام انتهى التحالف بين فرنسا وبين الحركة الوطنية المصرية ، وأصيب مصطفى كامل بخيبة امل لم يتخلص منها مدى حياته التى استمرت مدة أربع سنوات مريرة بعد هذا الاتفاق بين انجلترا وفرنسا .

ولكن مصطفى كامل ـ على أى حال ـ قاد تيارا عظيم الاهمية فى مصر فى بداية هذا القرن وهو التيار الوطنى الإسلامى الذى يعتبر الرابطة الاسلامية رابطة سياسية تشد مصر الى تركيا .

وكان هناك تيار ثالث يمثله أبناء الاعيان من اصحاب الثروات ، وهؤلاء فى معظمهم قد تعلموا فى أوربا وعادوا الى مصر ، يحملون فى رؤوسهم فكرة عصرية عن القومية والوطنية ، فالمسألة عندهم ليست مسألة دين ولا مسألة عنصر ، ولكنها بالتحديد مسألة مصالح مشتركة بين الناس ، وهذه المصالح المشتركة هى الأساس فى فكرة الوطن وفكرة القومية .

ومن خلال هذا المنهج فى التفكير ، توصل هؤلاء العائدون من اوربا الى شعار « مصر للمصريين » ، فأصحاب هذا التيار لا يشعرون بأى ولاء لتركيا كما هو الأمر عند مصطفى كامل والحزب الوطنى ، بل ان ولاءهم الاساسى لمصر وحدها ، اما تركيا التى يتجه اليها مصطفى كامل فلا تفترق عندهم عن انجلترا التى يحاربها المصريون ويريدون التخلص منها .

وكان زعيم هذا التيار هو لطفى السيد . انه تيار علمى ، وهو الى جانب ذلك يؤمن بالتدرج والاعتدال الى أقصى حد . انه لا يؤمن بالثورة ولا بالعنف ، ولكنه يطالب بالاصلاح الهادىء ، خطوة بعد خطوة ، وكان هذا التيار ولاشك هو ـ بدون قصد او تعمد ـ اقرب التيارات فى مصر الى « الفابيين » فى انجلترا لا من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ناحية الاهداف والمبادىء ، ولكن من ناحية الاسلوب السياسى العلمى . لان الخلاف كان كبيرا بين « الفابيين » وبين تيار لطفى السيد وحزب الامة الذى ينتسب اليه ، بل ويعتبر زعيمه الروحى ومفكره الاكبر ، فالفابيون اشتراكيون بمعنى من معانى الاشتراكية ، ولطفى السيد مع اعضاء حزب الامة ، لم يتحدثوا عن الاشتراكية بأى معنى من المعانى ، بل كان مطلبهم الاساسى هو : تحرير مصر سياسيا من السيطرة الانجليزية . ولكن وجه الشبه بين التيارين ... تيار حزب الامة ولطفى السيد وتيار « الفابيين » هو . الاعتدال والتدرج فى أسلوب العمل السياسى لتحقيق الهدف .

وهكذا فان حزب الامة لم يكن يطالب بالاستقلال العاجل ، بل كان اقصى ما يتمناه ويدعو اليه هو استقلال أشبه بالحكم الذاتى ، بحيث تحكم مصر نفسها ولكن مع ارتباط وثيق بانجلترا وتنسيق كامل معها فى شتى القضايا والشؤون .

ولكن قيمة التيار الذى خلقه لطفى السيد فى بداية هذا القرن فى مصر ، كانت راجعة الى اصراره على شعار « مصر للمصريين » من جانب ، والى الدعوات الاصلاحية التحررية التى كان يتبناها هذا التيار ويناصرها من جانب آخر ، مثل الدعوة الى تحرير المرأة ، والدعوة الى التعليم الجامعى ، وما الى ذلك من دعوات كان لها قيمتها وأهميتها فى بداية هذا القرن .

ان الازمة الاساسية التى كانت تحرك هذا التيار ، هى أزمة التخلف الحضارى بمظاهره العملية والاجتماعية والعمرانية، فأصحاب هذا التيار هم كما أشرت فى البداية من ابناء « الاغنياء والاعيان » وكانوا يسمون أنفسهم بهذه التسمية الغريبة وهى « أصحاب المصالح الحقيقية » . ولذلك لم تكن القضية بالنسبة لهم قضية حادة عنيفة ، لانهم كانوا فى النهاية أقل طبقات الامة تأثرا بمظالم الاستعمار الانجليزى ، وان كانوا يعانون من التنافس الاقتصادى بينهم وبين المصالح الانجليزية ومن هنا كان منهجهم فى « التغيير » هو التدرج والاصلاح ، والعمل على التخلص من التخلف الحضارى باسلوب هادىء ، وخطوة بعد خطوة .

ولم يكن فى هذا التيار أى خطر مباشر على الانجليز ، بل كان هذا التيار على العكس أقرب الى التحالف مع الانجليز .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقى من التيارات الهامة التى كانت تملأ مصر فى بداية القرن العشرين ، تيار رابع هو تيار المهاجرين من الشام الى مصر ، وهذا التيار لم يكن مثل التيارات السابقة أثرا من آثار فشل الثورة العربية ، وانما ولدته ظروف اخرى هى ظروف الثورة ضد الحكم العثمانى الذى كان مسيطرا على الشام وغيرها من بلاد آسيا العربية . وقد هاجر أصحاب هذا التيار من الشام ، واختاروا مصر ملجأ لهم وساعدهم على النجاح أن مصر كانت مهيأة لقبول هذا التيار فى بعض جوانبه الرئيسية ، وقد اختار معظم أصحاب هذا التيار أن يتحالفوا مع الانجليز ضد الاتراك بما فيهم من جهل وظلم وتخلف ، وكانوا يرون ان الانجليز اكثر استنارة وحضارة من الاتراك ، وهى رؤية صحيحة ولا شك ولكنها رؤية ناقصة فالانجليز يمثلون استعمارا جديدا لا يقل قسوة عن الاستعمار العثمانى . ومن المع اصحاب هذا التيار : يعقوب صروف وشبلى شميل وفرح أنطون وفارس نمر . ورغم الخلافات الجزئية بينهم فانهم جميعا كانوا يدعون الى العلم والحضارة الغربية العصرية ، وكانوا يحاولون أن ينزعوا عن الشرق كل ما له علاقة بالاتراك وعصرهم المظلم .

ولقد روج هؤلاء لكثير من الاتجاهات العلمية الغربية ، مثل نظرية التطور عند دارون ، والدعوات التحررية الاخرى عند روسو وفولتير وغيرهم من كتاب أوروبا المعروفين بالتجديد والثورة فى ميدان العلوم والفنون والحياة الاجتماعية والسياسية .

وكان فرح أنطون بلا شك هو اكثر الجميع ميلا الى الثورة والفكر الثورى بينما كان يعقوب صروف وشبلى شميل عالمين هادئين يحلمان بتأصيل الفكر العلمى عند المصريين وبقية العرب عموما ، وذلك للخروج بالعقل العربى من جو الخرافات ولتحريره من التعصب الدينى الضيق ، ففى ظل الفكر العلمى لن يكون هناك تعصب دينى وانما ستكون هناك مجتمعات عصرية تجمع بين مختلف الاديان فى تعاون وثيق من أجل حياة جديدة ، ويتميز شبلى شميل عن الجميع ايضا بدعوته المبكرة ـ حوالى سنة ١٩٠٨ ـ الى الفكرة الاشتراكية حيث عرض هذه الفكرة فى بعض مقالاته وأيدها ونادى بها .

هذه هى التيارات الفكرية الرئيسية التى ملأت مصر فى هذه الفترة ، وهى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التيارات التى كانت تحرك مصر وتحاول أن تخرج بها من أزمتها العنيفة ، وكان كل تيار من هذه التيارات يعمل بطريقته الخاصة وبحسب مبادئه ومعتقداته .

ومهما كان الاعتراض على هذا التيار أوذاك فى جانب أو آخر فان هذه التيارات كلها كانت تيارات تقدمية بمعنى من المعانى ، لانها كانت فى النهاية تحاول أن توقظ مصر وتحررها من بعض قيودها وتربط بينها وبين التيار الكهربائى الحضارى فى العالم الحديث بعد أن أصيبت خلال الاعوام التى تلت هزيمة العرابيين سنة ١٨٨٢ وحتى مطلع القرن العشرين بآلام كبيرة وركود عظيم حتى كان من يراها فى ذلك الحين يحسب أنها فى عداد الموتى الذين لن تقوم لهم قائمة على الاطلاق . وهذا ما كان يتصوره ممثل الاستعمار الانجليزى الاكبر اللورد كرومر ، بعد أن عمل له بجد واجتهاد كبيرين ، ولم يدخر جهدا فى سبيل الوصول اليه .

وفى اواخر القرن الماضى وفى مطلع القرن العشرين كان كرومر يظن انه اتم رسالته الكبيرة فجعل من مصر أرضا صالحة للسيادة الانجليزية الابدية ولكن مصر بدأت تكذب أحلام كرومر ، وبدأ الجليد فيها يذوب فى تيارات مختلفة حتى جاء اليوم الموعود سنة ١٩١٩ فالتقت معظم هذه التيارات وأثمرت ثمرتها العظيمة فى شكل ثورة وطنية شاملة .

هذا هو الجو الذى نشأ فيه العقاد ، جو اليقظة بعد اغفاءة طويلة ، وجو التنبه بعد الاغماء ، جو الحركة ذات الاتجاهات المتعددة بعد الجمود والركود ....

فماذا كان موقف العقاد فى هذه المرحلة ، وماذا فعل مع هذه التيارات المتعددة وماذا فعلت به ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحث عن طريق

بدأ العقاد الكتابة سنة ١٩٠٦ تقريبا ، وكان عمره آنذاك حوالى ١٧ سنة حيث أنه ولد سنة ١٨٨٩ ، وهى نفس السنة التى ولد فيها طه حسين . وهكذا يكون العقاد قد بدأ خطواته الفكريـة الاولى فى قلب فترة مليئـة بالحـركة والحيـوية والاتجاهات المتعددة ، ولقد كانت هذه الفترة بما فيها من قلق فكرى واتجاهات عديدة كفيلة بأن تربك الذهن والقلب ، وتثير الاضطراب الذى ما بعده اضطراب أمام شاب جديد يبحث عن طريق . فهل يلتقى الانسان مـع أصحاب الهـوى العثمانى الذين يريدون التحرر من الانجليز عن طريق احياء الرابطة القديمة مع تركيا تحت راية الاسلام ؟ هل يقف فكريا مع الذين يتجهون الى ما وراء البحر الابيض المتوسط فى الغرب ويريدون الاخذ بأساليب الحضارة الغربية على أن يتخلصوا من الاتراك والانجليز معا بطريقة هادئة معتدلة وديعة كما كان يريد لطفى السيد ومدرسته ؟ هل يفصل الفكر عن السياسة ويعمل على بـذر بذور الحضارة عن طريق الفكر العلمى المادى وحده كما كان يفعل يعقوب صروف وشبلى شميل وفارس نمر وأنصارهم رغم أن كثيرين من هؤلاء لم يجدوا مانعا من الارتباط بالانجليز الذين كانوا فى نظرهم أفضل من العثمانيين ؟

لقد كانت فترة تثير الحيرة والارتباك ، فماذا فعل العقاد الذى كان فى بداية شبابه آنذاك ، ولم يكن قد وصل الى العشرين بعد ، أن العقاد لم يرتبط بتيار واحد من هذه التيارات العديدة . فالحقيقة أنه كان هناك فى كل تيار من هـذه التيـارات جانب سلبى وجانب إيجابى وقد حاول العقاد إلى حد كبير أن يرتبط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالجوانب الايجابية من وجهة نظره ، دون أن يرتبط بتيار واحد ارتباطا نهائيا لا فكاك منه .

أخذ العقاد من مدرسة محمد عبده نظرته العميقة الصائبة الى التراث العربى الاسلامى ، فقد رأى أن هذا التراث ينبغى أن يعاد النظر اليه فى ضوء العلم الحديث ، ورأى فى هذه الدعوى من الاصالة ما ربطه بها الى حد بعيد ، حيث ظل أثر مدرسة محمد عبده باقيا فى شخصية العقاد حتى نهاية رحلته فى عالم الفكر وعالم الحياة سنة ١٩٦٤ ، ان العودة الى التراث العربى تساعده مساعدة جدية على أن يحس أنه مفكر له جذور ، وليس كائنا هشا لا جذور له على الاطلاق . وهذا الشعور بالانتماء الى ثقافة لها قيمتها ودورها الحضارى كان شعورا مناسبا لطموحه أشد المناسبة فقد كان منذ البداية طموحا يشعر بالاعتزاز الشديد بنفسه وليس من المنطقى مع انسان مثل العقاد يعتز بنفسه أن يقتنع بسهولة أنه انسان بلا ماض ، بلا تراث ، بلا جذور ، او ان يقتنع بأن بلاده التى ولد فيها بلاد عقيم عاقر ، ليس لها ماض من أى نوع .

ولكن تيار محمد عبده ، اذا كان يقدم الى العقاد منهجا عصريا جديدا فى النظر الى التراث العربى الاسلامى بحيث يتلاءم هذا التراث مع الحضارة العصرية، ولا يستعصى عليها أو يعوقها ... اذا كان هذا المنهج يقدم هذه الهدية الثمينة التى تجعل منه كائنا راسخا فى الارض ، فانه من ناحية الموقف العملى ليس كاملا بحال من الاحوال ، ذلك لان محمد عبده قد آثر بعد فشل القوى الثورية وتشتتها ، أن يهادن الاحتلال ، وكان كرومر من جانبه معجبا بمحمد عبده أشد الاعجاب راضيا عنه كل الرضا ، والسبب فى هذا الموقف أن محمد عبده بعد أن كان « عرابيا » عظيما يقف على رأس العرابيين ، وجد بغريزته العملية أن الاصلاح أجدى من الثورة .... ألم يجرب الثورة ، فنسفت الثورة زعماءها وهو واحد منهم ، وكان من نتيجتها فقدان الاستقلال وسيادة الاحتلال ؟ لقد اهتدى محمد عبده أخيرا الى أن الشعب نتيجة لقرون طويلة من الظلم والتخلف ، بالاضافة الى ظروف الاحتلال الجديدة ، ليس مستعدا للثورة الشاملة ولا قادرا عليها ولذلك يجب اعداده بصبر وانضاجه فوق نار هادئة يمكن ان تثمر على مر الزمن بلا عنف ولا طفرة واسعة ، وقد وصل الامر بمحمد عبده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى ان تنكر للعرابيين القدماء وعلى رأسهم زعيم الثورة نفسه احمد عرابى ، وقال محمد عبده فى هذا الزعيم أقوالا سيئة ، ولا شك أن هذه الاقوال ظالمة ، مهما كان وراءها من المبررات والاسباب ، ونستطيع ان نتصور وقع كلمات محمد عبده على نفس الزعيم العجوز أحمد عرابى بعد عودته من منفاه ، لقد كان عرابى يسمع مثل هذه الآراء ضده وضد ثورته وهو جالس على مقهاه المفضل ، « مقهى المالية » بلاظوغلى ، وكانت نفسه ولا شك تتمزق وتتألم الى أقصى الحدود .

هذا الجانب الواقعى من فلسفة محمد عبده لم يقنع العقاد ولم يرق له كما يبدو من السلوك العملى للعقاد فى تلك الفترة ولذلك فقد رفض تماما فكرة المهادنة للانجليز أو لممثليهم فى مصر ورفض أن يعمل فى أى جريدة خاضعة لنفوذهم أو فى أى عمل يمكن أن يكون لهم فيه سيطرة مباشرة أو شبه مباشرة . لقد كان العقاد من هذه الناحية فتى مصريا يدرك بالشعور أولا وبالعقل ثانيا انه لا معنى على الاطلاق للاقتراب من الانجليز أو للاتفاق معهم فى أى شىء . هكذا كان شعوره وهكذا كان الشعور الوطنى العام فى نفس الوقت .

أما بالنسبة للتيار الثانى الذى كان يمثله مصطفى كامل فقد رفضه العقاد منذ البداية وذلك لانه كان تيارا يريد ربط مصر بتركيا ولم تكن تركيا بالنسبة لشاب مستنير مثل العقاد أملا من الآمال .... ماذا يمكن ان يجد هذا الشاب فى تركيا ، أو ماذا يمكن أن يحب فيها ؟ انها لا ترمز لحضارة مزدهرة ، ولا ترمز لثقافة مستنيرة عميقة ، لا تمثل شيئا من عظمة الماضى ، ولا تحمل بصيصا من نور المستقبل . لقد كانت تركيا بالنسبة لهذا الشاب المستنير المثقف ظلاما فى ظلام ، ولذلك لم يتحمس اطلاقا للربط بين مستقبل مصر ومستقبل هذه الدولة العثمانية المظلمة .... كذلك لم يكن العقاد متحمسا لمصطفى كامل تحت تأثير عامل آخر ، فدعوة مصطفى كامل الى الوطنية ، هى دعوة تغلب عليها العاطفة الرومانسية والعقاد منذ البداية عقل متفتح يميل الى الايمان العقلى والبرهان العقلى على الدوام ، لقد كان يحس بنهم شديد الى المعرفة العلمية الخاضعة للمنطق ، لا الى المشاعر الغضة التى مهما بلغت من الجمال فانها ضعيفة ـ فى نهاية الامر ـ من ناحية المضمون العقلى . ولذلك لم يستجب العقاد لدعوة مصطفى كامل ولم يتجاوب معه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد روت الكتب التى تحدثت عن شباب العقاد الاول أن سبب نفور العقاد من مصطفى كامل يكمن فى حادثة وقعت للعقاد فى صباه فى أسوان ، حيث زار مصطفى كامل مدرسة العقاد ، وثارت مناقشة ـ فى أحد الفصول ـ بين الزعيم الكبير والتلميذ الصغير وخرج التلميذ الصغير عباس العقاد من هذه المناقشة بأن مصطفى كامل انسان متعصب مغرور لا يحب لاجد أن يخالف رأيه بحال من الاحوال . وقد روى العقاد نفسه هذه الحادثة فى بعض كتبه ومقالاته .

ومن الممكن ولا شك أن تكون هذه الحادثة الصغيرة سببا من أسباب النفور من مصطفى كامل عند العقاد ، خاصة أن نفسية العقاد كانت من النفسيات الحساسة التى تتأثر بالعوامل الشخصية الذاتية تأثرا كبيرا ، ولكن هذه الحادثة لا يمكن أن تكون السبب الوحيد ولا السبب الرئيسى ، فالمسألة فى جوهرها هى الخلاف بين زعيم يعتمد على التأثير العاطفى بالدرجة الاولى وشاب مثقف مستنير يحتاج أكثر ما يحتاج الى الاقناع العقلى .

والعقاد فى موقفه من مصطفى كامل يلتقى بمفكر آخر من أبناء جيله هو سلامة موسى . وهذا الموقف من مصطفى كامل هو أحد المواقف القليلة التى التقى فيها العقاد بسلامة موسى التقاء كاملا أو شبه كامل . وقد كان سلامة موسى يرفض من مصطفى كامل تعصبه فى الدعوة الى الاسلام . وكان يتصور أن مثل هذا الموقف سوف يؤدى الى فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين لان موقف مصطفى كامل يكاد يشير الى أن مصر وطن المسلمين فقط . أى أن سلامة موسى كان يرفض من مصطفى كامل ما كان يتصوره نوعا من التعصب الدينى والوطنى والفكرى وهذا التعصب المبنى على الاندفاع العاطفى هو نفسه ما كان يرفضه العقاد من مصطفى كامل ، رغم أن أسباب العقاد لهذا الرفض كانت تختلف عن أسباب سلامة موسى . فنزعة مصطفى كامل العاطفية البعيدة عن المنطق العلمى الرصين كانت توحى الى العقاد بأن مصطفى كامل هو فى نهاية الامر زعيم ضيق الافق متعصب محدود الرؤية ، ولذلك ابتعد عنه ونفر منه .

وليس هنا مجال للحكم لمصطفى كامل أو عليه ، ولكن من الضرورى أن نقول فى هذا الأمر كلمة سريعة ، فمصطفى كامل ولاشك قد ساهم فى بداية هذا القرن فى اعادة الحماس الى قلب مصر ، بعد أن كان اليأس يسيطر عليها ، ولقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان مصطفى كامل باسلوبه العاطفى الحار الذى رفضه العقاد وسلامة موسى معا عاملا من العوامل الفعالة التى ساهمت فى ايقاظ الوعى العام فى مصر وفى تعبئة الشعور الوطنى تعبئة رائعة ، لقد كان مصطفى كامل شاعرا ألهب شعلة الوطنية المصرية فى وقت كانت مصر فيه أحوج ما تكون الى شاعر كبير يبعث الى روحها بالامل والتفاؤل .

نعود بعد ذلك الى التيار الثالث ، تيار لطفى السيد وحزب الامة ، تيار « مصر للمصريين » . لقد كان هذا التيار أقرب ما يكون الى العقاد لانه تيار يقوده العلماء والمثقفون ، انه تيار اصحاب العقل الكبير والثقافة العالية الواسعة ، وأصحاب هذا التيار لم يكونوا يتحدثون قط عن شىء الا وبين أيديهم البرهان العلمى الدقيق المستمد من أعمق الفلسفات التى عرفتها الانسانية منذ أقدم العصور حتى أوائل القرن العشرين ... فلقد كان لطفى السيد على سبيل المثال المفكر الاول لهذا التيار مترجما لارسطو وتلميذا من تلاميذه .

فما سر ابتعاد العقاد عن هذا التيار الذى كان من المنطقى أن يكون قريبا إليه ؟ ... سره ولاشك هو تكوين العقاد الاجتماعى ، فهو شاب مصرى فقير نشأ فى ظل أسرة من الطبقة الوسطى الصغيرة فأبوه موظف صغير والعقاد نفسه قد بدأ حياته موظفا صغيرا ، ولذلك فقد كان يحس بأن لطفى السيد وأعضاء حزب الأمة عموما ، بعيدون عنه وعن الطبقات الفقيرة والمتوسطة من أبناء الشعب فهم كلهم من كبار الملاك والاقطاعيين ، فكيف يلتقى هذا الشاب الفقير بتجاربه الاجتماعية القاسية وواقع حياته الشاق مع هؤلاء الذين يمثلون فى النهاية طبقة عليا متعالية على الشعب مهما أظهرت من الاهتمام بشئون الشعب وقضاياه ؟

لقد كانت هذه النقطة بالذات كفيلة بأن تبعد العقاد تماما عن هذا الحزب وعن أنصاره حتى ولو كانوا من الفلاسفة والعلماء أمثال لطفى السيد وغيره . ولقد كان أصحاب هذا التيار ـ فى نهاية الأمر ـ جماعة من المعتدلين الهادئين الذين ينظرون الى الاحتلال الانجليزى بأعصاب باردة ، انهم يرفضونه ولا شك ، ولكنه رفض الارستقراطيين الذين لا يجدون بأسا فى ان يحققوا نوعا من التعايش السلمى مع الاستعمار الانجليزى وممثليه . فكيف يلتقى العقاد الذى يرفض الاستعمار الانجليزى رفضا كاملا مع هؤلاء المعتدلين الهادئين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقلاء ؟ ... لقد التقى العقاد بمنهجهم المتفتح على الفكر الغربى والثقافة الغربية ولكنه لم يلتق معهم بعد ذلك فى شىء ، بسبب تكوينهم الاجتماعى كطبقة عليا فى المجتمع المصرى وبسبب اعتدالهم المسرف فى النظر الى قضية الحرية والاستقلال .

بقى التيار الاخير والذى يمكن أن نسميه بتيار المقتطف نسبة الى مجلة المقتطف التى كان يصدرها يعقوب صروف وهذا التيار هو الذى يمثله المفكرون المهاجرون من وجه الطغيان التركى فى الشام وكان أصحاب هذا التيار من أمثال يعقوب صروف وشبلى شميل من أكثر العناصر المتحررة من الناحية العلمية ، لقد فهموا الثقافة الغربية فهما عميقا وروجوا فى كتاباتهم لاعمق ما فى هذه الثقافة من اتجاهات وآثار . ولقد كانوا على وجه التقريب بيئة غربية تقيم فى مصر ... وكان فى هذا التيار جاذبية شديدة عميقة بالنسبة للعقاد فهو تيار يتلاءم مع نهمه العقلى الى الثقافة الغربية المعاصرة وقد استفاد العقاد الى أقصى حد من هذا التيار واعتمد عليه شخصيا فى بعض المراحل حيث عاش فترة من الوقت فى رعاية يعقوب صروف العملية فقد ساعده فى الحصول على وظيفة باحدى المدارس ، وقد أشاد العقاد بما استفاده من يعقوب صروف فى عدد من مقالاته .

على أن العقاد رغم ذلك كله لم يلتق بهذا التيار الفكرى التقاء كاملا لانه بحكم تركيبه كان تيارا مهادنا للانجليز متعاونا معهم الى أقصى حد ، فقد كان العدو الاول بالنسبة لهذا التيار يتمثل فى الاتراك بظلمهم السياسى وعدائهم للعلم والعقل وقد وضع معظم اصحاب هذا التيار - وليس كلهم بالطبع - يدهم فى يد الانجليز وكان من بين هؤلاء على سبيل المثال فارس نمر احد زعماء الثورة ضد الاتراك فى الشام ، ومن عجب ان يجىء هذا الثائر من الشام لينشىء فى القاهرة جريدة المقطم التى كانت لسان حال الانجليز فى مصر ويزوج ابنته « ايمى » للمستشار الشرقى بالسفارة الانجليزية وهو « سمارت » الذى كان من أقوى الشخصيات التى اعتمد عليها الاحتلال الانجليزى لمصر ... إن فارس نمر - فى الشام - ثورى ضد الاتراك ولكنه فى مصر وثيق الصلة بالانجليز وحليف لهم . لقد كانت عيون اصحاب هذا التيار مركزة على عدوهم الرئيسى فى تركيا ولم يلتفتوا الى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خطورة التحالف مع الانجليز ، فاذا كان الاتراك يمثلون نوعا قديما من الاستبداد فالانجليز يمتلون نوعا عصريا من الاستبداد لا يقل فى نهاية الأمر خطورة عن الاستبداد التركى .

وهكذا لم يجد العقاد فى هذه التيارات تيارا واحدا يرتبط به ارتباطا كاملا نهائيا وظل يعيش فى هذا المناخ الفكرى مترددا بين هذه التيارات جميعا دون أن يذوب فى أى واحد منها ، أو يستسلم استسلاما نهائيا له . وقد كانت هذه المرحلة هى فترة النشأة والتكوين الاساسى بالنسبة للعقاد وتركت هذه المرحلة آثارها فى حياة العقاد الشخصية فشقى وتعب وأصابه المرض وتعرض لكثير من الازمات الاقتصادية ولكنه كان فى كل هذه الازمات مثالا للشاب المصرى الوطنى الذى لا يبيع نفسه للانجليز ، وقد عرض عليه الانجليز العمل معهم بلسان « سمارت » زوج أبنة فارس نمر ، والسكرتير الشرقى بقصر الدوبارة ـ مقر المندوب السامى الانجليزى آنذاك ـ وذلك عندما كان العقاد موظفا فى وزارة الاوقاف ، وكان السكرتير الشرقى يغرى العقاد بأن يساعد الانجليز على التشهير بالخديوى عباس حلمى الثانى ، وكان بينه وبين الانجليز معركة أراد منها الخديوى اثبات سلطانه ، ورفض العقاد هذا العرض لا حبا فى الخديوى ، ولكن اصرارا منه على ألا يكون أداة فى يد الانجليز .

وقد جمع العقاد فى هذه الفترة ، فترة نشأته الفكرية قبل ثورة ١٩١٩ ، بين الاهتمام الكبير بالثقافة الغربية واقباله المتلهف على فهمها واستيعابها وهضمها وبين الاهتمام بالثقافة العربية القديمة ، وحرص العقاد حرصا تاما على عدم الوقوف بأى شكل من الاشكال مع الاستعمار الانجليزى وأجهزته ، أو مع القصر أو مع الارستقراطية المصرية مهما قدمت له من اغراءات ، وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا أن طه حسين فى هذه الفترة بالذات لم يجد مانعا من الارتباط بلطفى السيد وحزب الامة أى بالارستقراطية المصرية ، حيث كان طه حسين يجد بيئة فكرية متحررة تستطيع أن تتقبل آراءه الجديدة المتمردة ، وتستطيع أن تقف الى جانبه وتحميه من ثورة المحافظين ضده . وقد ظل طه حسين مرتبطا بهذه الارستقراطية المصرية حتى اثناء ثورة ١٩١٩ وما بعدها ، وذلك لان الذى كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعنيه بالدرجة الاولى فى ذلك الحين هو التجديد الفكرى وقد تغير موقف طه حسين بعد ذلك ، ولكننا نذكر موقفه فى هذه المرحلة لكى يتضح امامنا موقف العقاد الذى كان واحدا من المواقف الصلبة المحددة فى عدائها للاستعمار الانجليزى وللطبقة المصرية العليا معا .

وخلال هذه الفترة كان العقاد يعيش على بعض الوظائف الحكومية الصغيرة وعلى العمل فى بعض الصحف الوطنية ، وكانت حياته صعبة قاسية ولكنه احتملها بشجاعة ، وقد لقى كثيرا من المصاعب بسبب اصراره على موقفه الوطنى ضد الانجليز والطبقة العليا فى المجتمع ، مما فرض عليه أحيانا أن يعود الى بلده أسوان ، عندما كانت تسد فى وجهه أبواب الرزق ، ولكن العقاد فى هذه الفترة على أى حال استطاع بارادته القوية وذهنه المتفتح النهم أن يستكمل تكوينه الفكرى الاساسى وأن يرتفع بخبرته التعبيرية الى درجة عالية من الكفاءة بحيث لم تكد ثورة ١٩١٩ تندلع حتى كان العقاد قد احتل مكانه فى الصف الاول ككاتب لامع من الكتاب المجددين .

وهكذا نجد العقاد فى السنوات السابقة على ثورة ١٩١٩ ممثلا حقيقيا للطبقة الوسطى الناشئة فى مصر ، فقد كان يجسد فى شخصيته ثورية هذه الطبقة الناشئة ، فهو شديد الطموح الى الثقافة الغربية التى كانت وجها رائعا من وجوه الحضارة الاوربية ، حيث كانت الطبقة الوسطى تشعر بالحنين الكبير الى اللقاء مع هذه الحضارة لقاء كاملا ، ففى هذه الحضارة كل ما يغرى هذه الطبقة ... فيها العلوم العصرية ، وفيها التقدم الآلى وفيها الحرية السياسية والفكرية والعملية ، على أن العقاد فى ايمانه بالحضارة الغربية والثقافة الغربية لم يكن متفرنجا ... مثل بعض المتفرنجين الذين خلعوا أنفسهم نهائيا من الواقع المصرى العربى بل كان يمثل أيضا أجمل ما فى هذه الطبقة الوسطى الناشئة التى تريد أن تنتمى الى وطن روحى ، ولذلك تمسك بالثقافة العربية القديمة وساعده على ذلك أنه كان ينظر الى هذه الثقافة من زاوية جديدة مكنته من أن يكتشف ما فيها من جمال وروعة . كذلك كان العقاد يمثل النقمة على الاقطاعيين وعلى كل تبعية للانجليز أو للاتراك ولقد كان مثلا نابغا للطبقة الوسطى ، وهى الطبقة التى كانت بحكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظروفها طبقة متمردة مهيأة للثورة فى ذلك الحين ، أنها الطبقة النامية المليئة بالطموح ، طبقة الافندية الذين يملكون الوعى ولا يملكون شيئا آخر لانهم محرومون من كل الامتيازات التى كان ينالها الاجانب والمتمصرون « وأبناء البيوتات » من الاقطاعيين والتجار .

وفى هذه المرحلة بدأت معارك العقاد الادبية وكان أهم هذه المعارك معركته التى اشترك فيها ـ بالتأييد والموافقة دون الانغماس الحاد فيها ـ مع زميله المازنى ضد المنفلوطى وكان المنفلوطى يكتب أدبا رقيقا دامعا ، هو فى نهاية الامر أدب شكوى وبكاء ، وهو أدب يتلاءم مع روح الهزيمة التى كانت شائعة بعد فشل العرابيين الى حد بعيد ، ولكنه لا يتلاءم مع الطموح والتمرد ، ولا يتلاءم مع روح الثورة التى بدأت تسود بين أبناء الطبقة الوسطى الناشئة ، هذه الثورة التى كان فكر العقاد مظهرا من مظاهرها الحية ، وفى هذه المرحلة أيضا بدأت معركة العقاد ضد شوقى ولكنها لم تنفجر فى صورتها العنيفة الا بعد ثورة ١٩١٩ .

هذه خلاصة موقف العقاد فى الفترة السابقة على ثورة ١٩١٩ ، اى فى فترة التعبئة والتمهيد لهذه الثورة وفترة « البحث عن طريق » فى الفكر والحياة بالنسبة للعقاد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كاتب الثورة

عندما اندلعت ثورة ١٩١٩ كانت هذه الثورة بداية مرحلة جديدة فى تاريخ مصر وتاريخ العقاد على السواء ، ولقد كانت الفترة السابقة على ثورة ١٩١٩ هى فترة « حمل ثورى » بما فيها من تعبئة فكرية وروحية وبما تعرض له الشعب خلال هذه الفترة من ضغوط وتجارب قاسية فى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ وكان الظلم الذى يفرضه الانجليز على المصريين عاملا قويا يتحرك فى أعماق المجتمع حتى انتهى الامر الى الانفجار .

لقد وقعت حادثة « دنشواى المشهورة » سنة ١٩٠٦ ، حيث تم شنق عدد من الفلاحين فى قريتهم دنشواى وامام انظار أهلهم ومواطنيهم وظلت هذه الحادثة تعيش فى ضمير مصر منذ وقوعها كذكرى سوداء تنادى بالانتقام والثأر والتحرر من الذين صنعوا هذه الجريمة وفرضوا على الناس كل هذا الظلم والعذاب . وكانت الحرب العالمية الاولى وما ذاقته مصر خلال هذه الحرب المريرة سببا قويا من أسباب الثورة والتمرد . لقد تم الاستيلاء على شباب الفلاحين فى مختلف القرى بالقوة لكى يعملوا فى خدمة الجيوش الانجليزية ، ولنترك المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى يقدم لنا صورة لما فعله الانجليز فى مصر أثناء الحرب الاولى وقبل ثورة ١٩١٩ .

يقول الرافعى فى كتابه « ثورة ١٩١٩ » « ص ٥٤ » :

« لقد جندت السلطة العسكرية العمال والفلاحين فى مختلف أرجاء البلاد لاستخدامهم فى أعمال الجيش البريطانى وبلغ تعدادهم نيفا ومليون مصرى ، وكانوا يؤخذون كرها باسم المتطوعين ، وما هم بمتطوعين ويعاملون معاملة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعتقلين وما هم بمذنبين يربطون بالحبال ويساقون كالانعام ويقام عليهم الحراس وينقلون بالقطارات فى مركبات الحيوانات ويعاملون أسوأ معاملة ، ولا يعنى بصحتهم ولا بغذائهم وراحتهم ، وكانوا يوعدون بأن يستخدموا لمدة محدودة ، ثم تستمر على الرغم منهم . ومات كثيرون منهم فى ميادين القتال ، أو فى صحراء سيناء والعريش ، أو فى العراق وفرنسا ، وأصيب كثير منهم بالامراض والعاهات التى جعلتهم عاجزين عن العمل ، واجتمعت الى تلك المظالم مظالم أخرى بما لجأت اليه السلطة العسكرية من مصادرة الناس فى أرزاقهم وحاصلاتهم الزراعية ومواشيهم ودوابهم فقد استولت عليها بأبخس الاثمان وبأسعار تقل كثيرا عن أسعارها فى الاسواق وفرضت على كل مركز من مراكز القطر المصرى مقدارا معينا من الحبوب يورده الى الجيش بهذه الاسعار البخسة فكان الاهلون يطلب منهم فى بعض الاحيان أكثر مما عندهم . فيضطرون تحت تأثير الضغط الى شراء ما يطلب منهم بأسعار السوق ، ويقدمونه كرها بالسعر البخس » ... هذه احدى صور الواقع المصرى فى الحرب العالمية الأولى كما يرسمها لنا عبد الرحمن الرافعى ، ولقد كانت هذه الصورة وغيرها هى الظلم الظاهر ، ولكن كان هناك أشياء أخرى قصد بها الانجليز أن يقضوا على كل اصالة فى مصر وأن يفرضوا العقم الحضارى والتخلف على المصريين ، فقد حارب الانجليز على سبيل المثال مشروع انشاء الجامعة المصرية ، واصطنعوا مشروعا للكتاتيب واختلقوا مناظرة مفتعلة بين التعليم العام والتعليم العالى ، وقالوا أن مصر اكثر حاجة الى التعليم العام « الاولى والابتدائى » منها الى التعليم الجامعى العالى . كذلك كان الانجليز يحاولون اشعال نيران التعصب الطائفى للقضاء على وحدة الامة . وهناك بذور اخرى للشر لا تنتهى بذرها الانجليز بمصر عن طريق الخبراء والمستشارين وعلى رأسهم « دنلوب » مستشارهم الشهير لشؤون التعليم ، وكانت ثورة ١٩١٩ اعتراضا على المظالم الظاهرة والمظالم الخفية التى لا تلاحظها العيون الا بعد البحث والدراسة ولقد تجمع السيل الذى تفرق سنة ١٨٨٢ تحت قيادة عرابى ... تجمع هذا السيل من جديد سنة ١٩١٩ بعد أن زادته الظروف خبرة ووعيا وسلحته بتجارب مريرة ولكنها مفيدة الى حد كبير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كيف كانت صورة العقاد سنة ١٩١٩ ؟ .... كان العقاد قد أصبح فى الثلاثين من عمره وكان قد نضج فكريا وأصبح شخصية واضحة تمام الوضوح ، ولم يتردد العقاد فى اختيار طريقه بعد أن تردد طويلا من قبل بين ما هو سلبى وما هو ايجابى فى التيارات المختلفة التى سبقت الثورة .

لقد ارتبط العقاد منذ اللحظة الاولى بالثورة وساهم فيها مساهمة مباشرة ، وكانت مرحلة ثورة ١٩١٩ هى المرحلة التى يمكننا أن نطلق فيها على العقاد اسم كاتب الشعب الاول ـ فقد اشترك العقاد بكل كيانه فى العمل الثورى وكان أبرز كتاب حزب الوفد الذى قاد الثورة وكان ينشر مقالاته فى « الاهرام » سنة ١٩٢٠ ، ثم فى البلاغ عند صدوره ابتداء من ديسمبر ١٩٢٢ ....

كانت المقالات التى يكتبها العقاد فى تلك الفترة من المقالات الرئيسية التى تعبر عن وجهة نظر القيادة الثورية وتدافع عنها . ولم يتردد العقاد لحظة خلال مراحل الثورة المختلفة ، بل كان دائما يقف فى أقصى الجناح اليسارى المتطرف فى هذه الثورة . ومن اعمال العقاد ذات الدلالة فى هذه الفترة أنه كان يكتب منشورات جماعة « اليد السوداء » احدى الجماعات السرية الرئيسية أثناء الثورة . ومن مواقفه الشهيرة أيضا تصحيحه لبيان « لجنة ملنر » التى جاءت الى مصر بعد اندلاع الثورة بشهور لمحاولة البحث عن طريق للخروج من المأزق الذى وقعت فيه انجلترا داخل مصر نتيجة للثورة ، ولقد أصدرت اللجنة بيانا جاء فى ترجمته العربية . « أن اللجنة ترغب رغبة صادقة فى أن تمكن الامة المصرية من صرف كل مجهوداتها الى ترقية شؤون البلاد تحت أنظمة دستورية » وسارع العقاد الى تصحيح الترجمة ، فالعبارة الصحيحة التى قصد الانجليز اخفاءها كانت « تحت أنظمة حكم ذاتى » ولم تكن « تحت أنظمة دستورية » وكان الفرق بين العبارتين كبيرا جدا فى نظر الوطنيين . لقد كان الوطنيون يريدون الاستقلال والدستور ، ويريدون أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، ولم يكن المصريون يطلبون الحكم الذاتى ، فالحكم الذاتى لم يكن يختلف كثيرا عن نظام « الحماية » الذى كان قائما قبل الثورة وكان من اهم أسباب الثورة .

واذا عدنا الى كتابات العقاد فى هذه الفترة نجد أن العقاد يحارب بعنف وقوة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على عدة جبهات ، فالعقاد يهاجم الانجليز باعتبارهم العدو الاول للحركة الوطنية وهو ينادى بالدستور ويدعو اليه دعوة حارة قبل أن يصدر ، فالدستور هو أعز أهداف ثورة ١٩١٩ الوطنية ، فهو أساس الاستقلال والحرية ، وبعد أن يصدر الدستور فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ يدافع العقاد بقوة عن الدستور ويهاجم أعداء الدستور هجوما قاسيا لا يقبل العقاد فيه رحمة ولا مساومة ، كما يدافع العقاد بقوة عن الوفد باعتباره الممثل الحقيقى للثورة الوطنية .... ثورة الحرية والاستقلال ، ويدافع عن سعد زغلول قائد الثورة ، وفى نفس الوقت يشن العقاد نيرانا من الهجوم الحاد ضد أعداء سعد وأعداء الوفد وأعداء الحركة الوطنية الذين انشقوا على الوفد وخرجوا على زعامة سعد ، وقد تجمع أعداء الحركة الوطنية هؤلاء فى حزب « الاحرار الدستوريين » .

كان العقاد فى هذه الفترة يركز فى كتابته على فضح الانجليز ومواقفهم فى مصر ، ويحاول دائما أن يثير الرأى العام ضد الاحتلال وسيئاته المتعددة ، ومن نماذج كتابته فى تلك الفترة ما كتبه فى « البلاغ » فى فبراير ١٩٢٣ اى قبل اصدار الدستور ... فى هذا المقال يقول العقاد « نشرت زميلتنا الاخبار فى ١٤ يناير الماضى خبرا جاء فيه أن مسجونا يخدم فى حديقة أحد الموظفين الانجليز أكل « طماطمة » واحدة ملقاة ، فما كان من السيدة زوجة الموظف الانجليزى وقد رأت المسجون الا أن أمرت الاونباشى الحارس أن يظل يضرب المسجون بالكرباج حتى تكلفه أن يكف .... الخ » .

« ومن هذا اليوم الذى نشر فيه الخبر الى يوم أمس لزمت السلطات الصمت فلم نقرأ له تكذيبا ولم نعلم بتحقيق حدث لاطلاع الرأى العام على نتيجته ، كل ما علمناه اخيرا أن الاستاذ مدير الاخبار استدعى على أثر نشر الخبر وسئل عما ورد فيه وطلب اليه ذكر اسم كاتبه فرفض افشاء هذا السر الصحفى ثم انصرف على أن يجرى التحقيق فى هذه الحادثة ويبلغ بنتيجته » .

« أما النتيجة التى بلغت الى حضرته بعد استدعائه كما تقدم فهى ما ظهر أمس من أن السلطات المختصة تنوى محاكمة حضرته لنشره خبرا « يحدث الفزع والقلق بين الاهالى المدنيين وطبقة منهم » وهذا كما تقول ورقة الاتهام مخالف لنصوص المادة ١٤ من الاعلان الصادر فى ١٤ مايو سنة ١٩١٦ ومخالف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقانون مصر لانه ـ والاشارة هنا الى مدير الاخبار « ينشر ويوزع ويحفظ للبيع فى محل عمومى مادة مطبوعة من شأنها اثارة احساسات الاحتقار أو البغض لطبقة من الاشخاص » ... ان المصريين لم يعد يخفى عليهم غرض الانجليز من التسويف فى الغاء الاحكام العرفية بحجة ينتحلونها بعد حجة ولكن الانجليز هم الذين تخفى عليهم الحقيقة وهى أنهم لن يبلغوا بابقاء أحكامهم العرفية غرضهم الذى يرمون اليه من هذه البلاد »(١) .

وبعد صدور الدستور يواصل العقاد هجومه على الانجليز فى كل مناسبة تتيح له ذلك لان الانجليز لم يخرجوا من البلاد بعد صدور الدستور بل استمر احتلالهم للبلاد ، واستمرت محاولتهم للتحكم فى السلطة لتحقيق مصالحهم على حساب مصالح الشعب .

ففى سنة ١٩٢٦ وأثناء وزارة عبد الخالق ثروت الائتلافية ، حيث كان سعد زغلول آنذاك رئيسا لمجلس النواب ، قام المندوب السامى البريطانى بزيارة للمنيا فكتب العقاد فى البلاغ يقول :

« مهما يكن الرأى فى زيارة المندوب البريطانى للمنيا فالامر الذى لا نزاع فيه ولا يصح أن يكون فيه نزاع هو أن هذه الزيارة يجب الا تتكرر فى اقليم آخر ، وألا نسمع مرة أخرى ان المندوب البريطانى يقف بين المصريين موقف الحاكم بين رعاياه ليحدثهم عن اهتمام حكومته برفاهيتهم وسعادتهم ، ويعدهم الوعود ويشجعهم على مخاطبته والرجوع اليه ، فان البلاد لم تثز ثورتها على الحماية البريطانية ولم تفقد زهرة شبابها وحبة أموالها وتصبر على مضانك الجهاد أربعين عاما لتسكت بعد ذلك عن مظاهر فضولية لا معنى لها الا اننا لا نزال فى ظل الحماية وان « رفاهيتنا ومصالحنا » لا تزال فى كفالة الحكومة البريطانية وقد كنا نفهم أن يزور المندوب البريطانى المنيا بصفته الشخصية ، أو أن يزورها بصفته الرسمية ولكن لا تحشد له الوفود ولا يسمع منه ذلك الكلام الذى تجاوز فيه حكومة البلاد الى مخاطبة رعاياها فى شؤون لا يجوز لغير تلك الحكومة أن تتولاها ، بل كنا نفهم بشىء من الجهد أن يتجاوز الحكومة ذلك التجاوز ويدارى

---

١ ـــ عامر العقاد ـ صفحات من معارك العقاد السياسية ص ٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

افتياته عليها بكلام يفيد الاعتراف لها بالاستقلال والمجاملة لها فيما تطلبه من مطالب وتسعى اليه من الحقوق ، ولكن زيارة مندوب أجنبى لاقليم من أقاليم مصر « المستقلة » لا لشىء إلا ليقول هناك كلاما يغفل فيه حكومة البلاد ويدعى لنفسه ولحكومته حقوقا تتنافى مع أبسط معانى الاستقلال أمر غير مفهوم من ذلك المندوب الأجنبى ، وغير مفهوم من الحكومة المصرية أن تسكت عليه وأن تدع الباب مفتوحا لتكراره والتوسع فيه » .

« أن الحكومة البريطانية عرفت كيف توجه نظر حكومتنا توجيها جديا الى أحكام صدرت من المحاكم المصرية وكيف تعلن ذلك على الملأ مع ما فيه من التشهير بأخلاق المصريين وقضاء المصريين ـ أفلا تعرف حكومتنا كيف توجه نظر المندوب البريطانى توجيها جديا الى أن رفاهية الفلاحين شىء لا يعنيه وأن حكومة بريطانيا « العظمى » لا تعرف ولا ينبغى أن تعرف أفراد الشعب المصرى بغير وساطة الحكومة الوطنية » .. وهكذا كان العقاد يهاجم الانجليز هجوما مباشرا خلال الثورة . وكان يهاجمهم هجوما مباشرا أثناء اعداد الدستور حيث كان الانجليز يقومون بمحاولات مستميتة للابقاء على الأحكام العرفية والاستمرار فى أرهاب المصريين والضغط عليهم ، وكان العقاد يهاجم الانجليز بعد صدور الدستور كلما بدرت منهم محاولة لتعطيل الدستور وجعله دستورا شكليا للبلاد ، ثم تحويل الاستقلال المصرى نفسه الى استقلال على الورق ليس له قيمة فعلية يحس بها المواطنون .

واذا كان العقاد قد تصدى للهجوم على الانجليز وتحريض الرأى العام ضدهم ، فقد تصدى فى نفس الفترة للرجعية المحلية ووقف فى وجهها بعنف ، خاصة وان الرجعية المحلية قد بدأت تتآمر على الدستور بعد صدوره ، وتحاول أن تقضى على الحرية والديموقراطية ، وأخذت الرجعية تعمل بالتحالف مع القصر والانجليز لهدم مكاسب ثورة ١٩١٩ الديموقراطية الوطنية .

وقد ركز العقاد فى البداية حملته على حزب « الاحرار الدستوريين » هذا الحزب الذى تألف أساسا لمحاربة الوفد ، وليكون سندا للسراى والانجليز ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما يقول المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى بحق ؛ فان هذا الحزب الذى تم اعلان تشكيله فى ٣٠ اكتوبر سنة١٩٢٢ تألف « لا استنادا الى تأييد الشعب بل ارتكانا على سلطة الحكومة ! وقد لازمه هذا العيب طول حياته فهو ليس حزبا شعبيا يرتكز على إرادة الشعب ، بل هو حزب حكومى يعتمد على قوة الحكم ، ومن هنا جاء تغليبه لسلطة الحكومة على سلطة الشعب وميله الى اهدار سلطة الامة لكى يصل إلى مناصب الحكم ، ولا ترتقى الأمم بهذه الاساليب فى النضال السياسى لان النضال الذى يقوم على التوهين من سلطة الأمة انما يرمى فى آخر الأمر الى استبعاد الشعب ، ومن ثم ظهرت فى محيط هذا الحزب معظم الوسائل والتدابير التى ترمى الى حرمان الشعب حقوقه السياسية . وكان وجود هذا الحزب موضع اطمئنان السياسة البريطانية اذ كانت تهدد به كل هيئة نيابية لا تميل إلى التسليم فى حقوق البلاد . كما كان مع غيره من الأحزاب الرجعية وسيلة لاستعادة الحكم المطلق »[١] .. هذا هو التقييم السياسى الذى يقدمه عبد الرحمن الرافعى لحزب الأحرار الدستوريين وهو تقييم صحيح اذ أن هذا الحزب اعتمد منذ نشأته على مجموعة من كبار الملاك الاقطاعيين انضم اليهم بعض كبار الرأسماليين ، فمن الاقطاعيين المعروفين محمد محمود وأمثاله ومن الرأسماليين اسماعيل صدقى وأمثاله . وكان الاقطاعيون والرأسماليون معا يجدون الخير والمصلحة لهم فى التعاون مع الإنجليز والسراى ، أكثر مما يجدون الخير والمصلحة فى التعاون مع القوى الوطنية والديمقراطية ، وقد ساهم الاحرار الدستوريون باستمرار فى كل اعتداء على الدستور والحريات ، منذ تكون حزبهم سنة ١٩٢٢ حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ومن هنا اتخذ العقاد موقفه الفكرى الواضح ضد الاحرار الدستوريين ، فهم الذين ظهروا فى أعوام الثورة الوطنية ليمثلوا بوضوح « ثورة مضادة » لأهداف ثورة ١٩١٩ ، وليكونوا أداة فى يد الانجليز والسراى لعرقلة حركة النمو الوطنى والديمقراطى فى البلاد . ويكتب العقاد فى تلك الأيام مقالا عنيفا بعنوان « ماذا تخسر مصر لو فقدت الأحرار الدستوريين »[٢] ، وفى هذا المقال يبدأ بالهجوم العنيف على هذا الحزب

١ ــ عبد الرحمن الرافعى ـ فى اعقاب الثورة المصرية ـ الجزء الاول ص ٦٩ و٧٠ .

٢ ــ عامر العقاد ـ صفحات من معارك العقاد السياسية ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرجعى ، ثم يتوقف بعد ذلك ليقدم تحليلا موضوعيا للحزب ثم ينتهى الى الهجوم الشخصى الحاد على أعضاء الحزب ... فى البداية يقول العقاد اجابة على السؤال الذى جعله عنوانا لمقاله « ... ماذا تخسر مصر لو فقدت الأحرار الدستوريين » ..

« سؤال غريب ! وكأنك تسأل ماذا تخسر مصر لو فقدت الوصوليين المنافقين عشاق المناصب وعباد المآرب وأنصار كل غالب وغاصب ، أو كأنك تسأل ماذا تخسر مصر لو فقدت الكذابين الدساسين الذين يميتهم الصدق والنور ويحييهم الكذب والظلام ، أو كأنك تسأل ماذا تخسر مصر لو فقدت تجار السياسة الذين يبيعون الوطن فى سوق المطامع ويسعون بين الأمة وغاصبيها سعى السوء ويبدون لها غير ما يضمرون ويريدون بها غير ما تريد » ثم ينتقل العقاد الى تحليل الاحرار الدستوريين وعلاقاتهم السياسية فيكتب فى نفس المقال : « الأحرار الدستوريون عورة السياسة المصرية وموطن الضعف فيها وباب المطامع الذى يلج منه الانجليز الى دخيلتها ، ولولاهم ولولا تهافتهم على المناصب ووقوفهم بالمرصاد لكل فرصة سانحة واستعدادهم لكتابة العرائض التى يستجدون بها الوزارات ويستعطفون بها الانجليز ـ لولا ذلك لعلم الانجليز أن الأمة يد واحدة وكلمة واحدة لا مساومة فيها ولا مناورة ، فأما أن يعطوها كل ما تريد وأما أن يناوئوا منها أمة كاملة مجمعة على الاباء والمقاومة والثبات على مطالبها حتى تنالها جميعا وتبلغ من الاستقلال والحرية ما تريد . ولكن الاحرار الدستوريين ظلوا مع الوفد المصرى حتى سنحت لهم بارقة الأمل من ناحية مشروع ملنر « بحمايته الصريحة » فتكالبوا عليه ووثبوا الى الفرصة يرتجفون وجلا من أن تفلت من أيديهم ، وأنذروا سعد بالتفرق عنه والانفضاض من حوله ، ورأوا أنهم قد جاوزا الحد فى الجهاد وكلفوا أنفسهم فوق ما تطيق من الصبر والثبات » ... ونترك كلمات العقاد لحظة لنقول إن الاحرار الدستوريين كانوا يقيمون دعايتهم على أنهم حزب الفنيين الذى يضم مجموعة عالية من الكفاءات الطبية والقانونية ... الخ . وهنا وقف العقاد ضد هذا الادعاء بأنهم حزب المواهب والكفاءات ، يقول العقاد : « ان هذا الخلق الذى يحمل لواءه بعض المحترفين على المنافع الزائلة يزعم أنه « خلق الكفاءة » . لا لشىء إلا لأنه مجرد من الاخلاص . كأن الكفاءة والاخلاص وصفان متنافيان فى عرف هؤلاء ... وانك لتسأل من هم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاحرار الدستوريون القائمون بهذه الدعوة فى مصر ؟ فيقال لك انهم على الاكثر عشرون أو ثلاثون محاميا على طبيب ممن لم يعرفوا فى حياتهم قط بشىء من التضحية أو حماسة المبدأ والعقيدة . فماذا تفقد مصر لو لم يكن فيها هؤلاء العشرون أو الثلاثون محاميا على طبيب ؟ أترى أن أصحاب الدعاوى يحملون قضاياهم الى أبواب المحاكم فلا يجدون عندها من يتولى المرافعة فيها ؟ أترى أن الأمهات تدفن أطفالها من اليأس لأن مدير السياسة[1] ناقص من عداد الأربعة عشر مليون الذين يقيمون فى هذه البلاد ؟ أترى أن القانون يأبى ان يتعلمه المتعلمون وأن الطب يرفض أن يدرسه الدارسون؟ ومن من هؤلاء العشرين أو الثلاثين محاميا على طبيب من تعجز الأمة عن تعويضه بمائة من مثله إذا المقادير المقادير ألا يذكر فيها اسمه ولا يطلع عليها نحسه ؟ » .

وينتقل العقاد بعد ذلك الى الهجوم الشخصى العنيف على بعض الأسماء فى حزب الاحرار الدستوريين فيتساءل من من هؤلاء لا تستطيع الأمة تعويضه : « ... أهو العقل الغبى محمد محمود ؟ ؟ أو الارعن المسلوب عبد العزيز فهمى ؟؟ أو « البلياتشو » المحزن جلاد دنشواى[2] ؟؟ أو طبيب الأطفال وطفل الأطباء حافظ عفيفى ؟؟ أو الرجل التام الرجولة كامل البندارى ؟ أو سماسرة المحاكم العسكرية « وهيب دوس اخوان »؟؟ أو المسفسط المأفون محمد على[3] ؟؟ من من هؤلاء يعيى هذه الأمة مكان نده أو يعجزها أن تعوضه بألف من مثله ؟ ما هى آثارهم التى كتبت لهم هذه الكفاءة التى يدعونها ؟ وأين هى أذنابهم أو قرونهم أو زوائد أعضائهم التى تعرف بها فصيلتهم على المئات من رجال الوفد المحامين والمعلمين والأطباء والمهندسين الذين يفوقونهم فى المعرفة والذكاء والاخلاص والنخوة النفسية والعقيدة الوطنية ؟ » .

ويواصل العقاد هجومه على الاحرار الدستوريين ودفاعه عن سعد زغلول والوفد بمثل هذا العنف والشراسة ، ولا يتوقف عن حملته هذه تحت تأثير

---

١ ــ يقصد العقاد هنا الدكتور حافظ عفيفى مدير جريدة السياسة التى اصدرها الاحرار الدستوريون وكان حافظ عفيفى طبيب اطفال

٢ ــ يقصد العقاد بجلاد دنشواى ابراهيم الهلباوى وكان عضوا فى الاحرار الدستوريين .

٣ ــ يقصد العقاد ــ هنا ــ على الاغلب محمد على علوبة « باشا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الارهاب والاضطهاد ، بل يواصل موقفه بشجاعة نادرة وعنف نارى ، ولا يتردد فى استخدام شتى اساليب الهجوم والتشهير ضد أعدائه ولا شك أن كتابته فى تلك الفترة كانت نوعا بارزا من « أدب الهجاء السياسى » ، فلم يترك العقاد واحدا من رجال الرجعية فى السياسة المصرية فى ذلك الحين الا وجعل منه موضوعا لسخرية الجماهير وسخطها واستنكارها له .

وقد قامت الرجعية السياسية فى مصر بعد اصدار الدستور سنة ١٩٢٣ بانقلابين كبيرين على هذا الدستور فى العشرينات ، وقد تم الانقلاب الأول بقيام وزارة أحمد زيور « فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ » وذلك بعد استقالة وزارة سعد زغلول على اثر حادثة مقتل « السير لى ستاك » الشهيرة ، وقد قامت هذه الوزارة بالغاء البرلمان المنتخب لأن أغلبيته كانت وفدية ، وقامت باجراء انتخابات جديدة ولكنها جاءت بأغلبية وفدية أيضا .

بدأت هذه الوزارة بالاعتداء على الدستور واعتقال عدد كبير من شباب الوفد البارزين، وقد أدلى عبد العزيز فهمى رئيس «حزب الاحرار الدستوريين» ووزير « الحقانية » فى هذه الوزارة بتصريح كانت كلماته واضحة فى اظهار استعداد الرجعية المصرية للاعتداء على الدستور والقضاء عليه ... وقد أدلى عبد العزيز فهمى بتصريحه فى ١٧ مارس سنة ١٩٢٥ وقال فى هذا التصريح بالنص « فى أعقاب الثورة المصرية ـ الجزء الأول ـ عبد الرحمن الرافعى ص ٢١٧ » :

« لقد اشتغلت بلجنة الدستور وكنت أعتقد أن الدستور مناسب لبلدنا ، ولكن العمل أظهر أنه ثوب فضفاض ، وبالرغم من هذا الذى أظهره العمل سنحافظ عليه ونرعاه » .

وبعد أن قال عبد العزيز فهمى « أن الدستور ثوب فضفاض على الأمة » حاول أن يؤكد سلطة « الملك » وحقه فى العبث بدستور البلاد فقال فى نفس التصريح :

« فى هذا الدستور حق مقرر لجلالة مولانا الملك وهو حل مجلس النواب فى كل وقت متى أراد ومتى رأى فى ذلك المصلحة للبلاد » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا أفتى عبد العزيز فهمى ، القانونى الكبير وأحد واضعى الدستور بأن من حق الملك أن يعبث بحرية الأمة ودستورها ، وأنه اكتشف أن الدستور « ثوب فضفاض » لا يناسب المصريين ، ومنطق عبد العزيز فهمى هنا هو منطق الرجعية المصرية فى ذلك الحين ، وهو منطق حزب الاحرار الدستوريين الذين ظهروا على سطح الحياة السياسية المصرية لاداء هذا الدور الرجعى فى تحطيم الحريات ومساندة الملك والانجليز ضد الأمة وضد مصالح الجماهير ومن أجل تصفية ثورة ١٩١٩ . والغريب أن عبد العزيز فهمى نفسه قد استقال من وزارة « زيور » بعد شهور وراجع موقفه السابق من الدستور ، وعاد الى المطالبة بالمحافظة على الدستور حيث قال « أن من الواجب علينا أن نحافظ على الدستور فى كل مقام بقطع النظر عن كل اعتبار » .. ولكن تحول عبد العزيز فهمى لم يحمل معه أى تحول جذرى فى حزب الاحرار الدستوريين ، حيث ظل هذا الحزب مؤيدا فى معظم مواقفه للانقلابات الدستورية، مشاركا فى انتهاك الحريات والوقوف فى وجه الحركة الوطنية الديمقراطية ، حريصا على تصفية ثورة ١٩١٩ وتصفية كل ما حققته من انجازات .

قام النواب فى عهد وزارة زيور باتخاذ قرار باجتماع مجلسهم الذى حلته الحكومة ، وقد منعت الحكومة الاجتماع فى مقر المجلس ، فعقد النواب اجتماعهم فى فندق « الكونتنتال » فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وانتخبوا سعد زغلول رئيسا للمجلس وأصدروا بيانا قالوا فيه انهم أرادوا عقد المجلسين « النواب والشيوخ » فى دار البرلمان فمنعتهم القوة من الوصول إليه ، وعلى ذلك اجتمعوا فى فندق الكونتنتال وتكامل عددهم القانونى .. وقد قرر النواب فى اجتماعهم :

أولا ـ الاحتجاج على تصرفات الوزارة المخالفة للدستور وعلى منع الاجتماع فى دار البرلمان بقوة السلاح .

ثانيا ـ قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة طبقا للمادة ٦٥ من الدستور وهى المادة التى تنص على انه اذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة وجب عليها ان تستقيل فاذا كان القرار خاصا بأحد الوزراء وجب عليه اعتزال الوزارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا ـ اعتبار دور الانعقاد موجودا قانونا واستمرار اجتماعات المجلسين فى المواعيد والأمكنة التى يتفق عليها الاعضاء »[1] .

وحول حادث انعقاد البرلمان فى فندق الكونتننتال رغم موقف الحكومة ومعارضتها لهذا الاجتماع ومحاصرتها لمقر مجلس النواب والشيوخ لمنع ممثلى الأمة من الاجتماع .. حول هذا الحادث الذى كان يعتبر الحادث الأول من نوعه فى تاريخ النضال الوطنى فى مصر كتب العقاد فى جريدة « البلاغ » مقالا تحت عنوان « يوم الأمة يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ » ... يقول العقاد فى هذا المقال :

« فى هذا القرن العشرين لن تدين الأمة لسلطة الأفراد ولن تحكم باسم القوة والاستبداد . فى هذا القرن العشرين لن تورث الأمم كما تورث الماشية الذلول لمن يحمل العصا وراءها ويدعى السيادة عليها . فى هذا القرن العشرين لن تستطيع وزارة أن تقوم بغير دستور أو أن تشهر الحرب على وطن ينكر عليها دعواها ويعرف لنفسه حقه ويتفق على أن يكون سلطانه هو الغالب ولو حالت دونه المصاعب والعراقيل . فى هذا القرن العشرين يعلم الدساسون ـ طوعا أو كرها ـ والأذلاء وسماسرة السوق أن قد بطل الايمان بذلك الحكم المطلق الذى آمنت به الشعوب فى قديم العصور ، وأن لن يبقى على الأرض حكم قد بطل الايمان به وانفضت القلوب من حوله . فمن لم يعقل ذلك منهم طوعا فسيعقله وأنفه راغم ويده مغلولة الى عنقه وجبينه منكس فى الخيبة والهوان ... » .

ثم يتحدث العقاد عن حادثة انعقاد مجلس النواب رغم أنف الحكومة ورغم إرهابها وطغيانها فيقول :

« ... ان هذا اليوم (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) لفاتحة النضال الفعال بين الأمة والوزارة الثائرة على الدستور الخارجة على حكم الاجماع ، وانه ليوم مكسوب من أيام هذا البلد التى حفل بها وطاب [2] الأنباء والذكريات . ولئن لم ينته باجتماع للنواب فى دارهم المعلومة ليكون ذلك أقرب مما تحسب الوزارة أو يحسب لها الذين يدبرون أمرها فى الخفاء ، وليكونن فى يوم لن تجد الوزارة فيه بين يديها

---

١ ـــ عبد الرحمن الرافعى ـ فى اعقاب الثورة المصرية ـ الجزء الاول ص ٢٤١ .

٢ ـ وطاب أى وعاء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عدة تشهرها على أحد أو تحتمى بها من حق ، وليكونن فى يوم يخرج فيه جبابرة اليوم مجرمين منبوذين لا يدفعون العدل عن أنفسهم ولا هم يرحمون » .. ثم يحذر العقاد من « ثورة دموية » فيقول :

« أما والله لو شاء هذا الشعب أن ينفذ كلمته قسرا لما أعياه ذلك ولا انتهى هذا اليوم الا بما يريد ، ولكنه يحذر العواقب فى بلد يحتله الغاصب وتشتبك فيه مصالح الأجانب ، ويعلم أن عصابة الثائرين على الدستور تستغل منه ذلك العلم ما وسعها ان تستغله ، وتلتمس النجاء به ما استطاعت ان تلتمسه . فهى تعرض عن صوت ذلك الاجماع الذى يواجهنا به نواب البلاد ويؤيدهم عليه كل ذى رأى فى مصر . وكل فرد من أفرادها لا مأرب له فى دوام هذه الحال » .

ثم يقول العقاد :

« ان السبت الثالث من هذا الشهر نوفمبر ١٩٢٥ » لم ينقض ونحن نكتب هذه السطور ، وان مجلس النواب ليجتمع فيه حيث أمكنه الاجتماع وإن حيل بينه وبين مكانه المعلوم ، وأن الحوادث فى هذا اليوم لتجرى على قدر لا يعلم به الا علام الغيوب ، ولكن قبل ان ينقضى بياضه ، بل قبل ان يكتب عنوانه ، نعده من ايام مصر المذكورة ، ونسجل فيه نصرا عزيزا للدستور ، على دولة الظلم الدائلة ، وخطوة جديدة للزمن السائر الى الامام يخطو بها على رؤوس الراجعين به الى الوراء ، وفاتحة للنضال يختتمها الشعب بيديه كما أراد هو لا كما يريد المستخفون به والثائرون عليه » .

ولم يفت العقاد أن يسجل على وزارة الانقلاب الأول على دستور ١٩٢٣ وهى وزارة أحمد زيور .. لم يفت العقاد أن يسجل على هذه الوزارة انها غير قادرة حتى على فرض أرهابها ضد الأمة ، فكتب يقول فى يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ فى البلاغ ، اى بعد اجتماع البرلمان فى فندق الكونتنتال بيومين :

« .. لقد دلت هذه الوزارة فى يوم السبت الماضى ٢١ نوفمبر على حمق مخجل ، وقصور نظر معيب ، وعرضت نفسها للسخرية والاستضعاف من حيث أرادت أن تظهر القوة والحزم ، وتطلع على الناس بالرهبة والجبروت ، فقد أعلنت يوم الأربعاء الماضى بلاغها الذى قالت فيه أنها « تنبه بأن كل اجتماع للبرلمان يعقد فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير المكان المعين له.، يكون هو أيضا غير مشروع ، وتعلن انها قررت أن تمنع بالقوة ، كل اجتماع داخل البرلمان ، أو فى أى مكان آخر » . وبينما هى تحشد كل قواها حول دار البرلمان ، وتجمع كل عدتها والتفاتها فى طريق تلك الدار ، وتظن ان النواب والشيوخ لا يجتمعون فى ذلك اليوم ، الا اذا وصلوا الى البناية التى حصرتها بالجند والشرط ، ورابطت حولها بالعيون والارصاد ، واذا بالنواب والشيوخ يعقدون فى فندق الكونتننتال ـ فى صباح اليوم نفسه ـ جلستهم التاريخية المشهودة ويصفعون الوزارة بقرار عدم الثقة بها ، ويباشرون عملهم كأن ليس فى مصر وزارة تصادر حقوقهم ، وتعلنهم بتفريق اجتماعهم بالقوة ، داخل البرلمان أو فى أى مكان آخر ، فأثبتوا بذلك سخف الوزارة وغباوتها ، حتى فى الدفاع عن نفسها ، والاحتياط لتنفيذ مقاصدها ، وأخرجوها هزأة للعالم ، تحمل الجلاجل فى رجلها وفوق رأسها ، وهى التى خرجت له فى الصباح جبارا كميا ، يتقلد السيف ، وينذر بالنار والحديد ! » .

وهذه الملاحظة التى حرص العقاد على تسجيلها ، وهى ضعف الوزارة الرجعية ، فيما زعمته لنفسها من قوة الضغط والارهاب ، والقدرة على الحكم بالحديد والنار ... هذه الملاحظة لها أهميتها لأن الوزارات الرجعية عادة لا تعتمد على تأييد الشعب ، ولا تعتز بأى صفة غير القوة والقدرة على السيطرة على الأوضاع المختلفة داخل المجتمع ، وفرض الارهاب على الناس ... تلك هى الصفة الوحيدة التى تستطيع الحكومة الرجعية أن تزعمها لنفسها ، وعندما تصبح الحكومة غير قادرة حتى على الارهاب ، فانها تفقد أعز ما تملكه وأغلى ما تفخر به . وقد حرص العقاد على الخروج بهذا المعنى ، وحرص على أن يطعن الوزارة الرجعية من خلال هذا الضعف الظاهر .

وقد حرص العقاد على تكرار هذه الملاحظة ، ضد حكومة الانقلاب الثانى على دستور ١٩٢٣ ، وهى حكومة محمد محمود كما سيأتى بعد قليل ، لقد حرص العقاد على أن يفضح الحكومات الرجعية ، ويجردها مما تدعيه لنفسها من انها حكومات أرهاب ، ويد قوية ، وقدرة ادارية على ضبط الأمن ، وإسكات كل صوت فى البلاد يمكن ان يرتفع بغير ما تريده مثل هذه الحكومات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أعلن العقاد فى ختام مقاله السابق تحديه لوزارة أحمد زيور :

« هل تجسر الوزارة على تحكيم الأمة على خلافها هذا مع نواب البلاد ؟ بل هل تجسر على تقديم النواب الى القضاء لمحاكمتهم على ذلك الاجتماع الذى تزعم انه اجتماع غير مشروع ؟ هل تجسر على ذلك ؟ اننا نتحداها بأصرح عبارة ، فهل تقدر على أن تجيب ؟ أنها لن تجيب ، ولن تقدر ، ولن تنال من النواب منالا بيد الأمة ولا بيد القضاء » .

وقد أثمرت المعارضة الشعبية ، بما فيها حملة العقاد العنيفة ضد وزارة احمد زيور ، فاستقالت فى ٧ يونيو سنة ١٩٢٦ ، وتم اجراء انتخابات حرة جاء بعدها سعد زغلول رئيسا لمجلس النواب ، كما قام عدلى بتأليف الوزارة التى كانت وزارة ائتلافية ، وكان سعد زغلول هو الذى اختار عدلى لرئاسة الوزارة ، وذلك فى محاولة منه لعدم الاصطدام المباشر بالانجليز ، أو بالملك فؤاد ، وكان الانجليز والملك يخشون من التعامل مع سعد زغلول كرئيس للوزراء .

وهكذا انتصرت القوى الوطنية والديمقراطية فى تلك المعركة العنيفة ضد أول انقلاب على دستور ١٩٢٣ ، وكان للعقاد فى هذه المعركة دور بارز ، ومساهمة واسعة وواعية ، فقد استطاع بقلمه الثائر آنذاك ، ان يفضح وزارة زيور الرجعية ، وأن يفضح أهدافها ورجالها ، وأن يشن على هذه الوزارة حملة متصلة جندت الرأى فى مصر ضدها ، وجعلت النصر من نصيب القوى الوطنية والديمقراطية .

على ان الملك والانجليز لم يهدأ لهما بال ، فظلا يتآمران على الدستور ، وعلى الديمقراطية فى البلاد ، حتى كانت سنة ١٩٢٨ ، فوقع الانقلاب الجديد على الدستور ، وكانت الاداة فى هذه المرة هى حزب « الاحرار الدستوريين » ، الذى اعتمد عليه الملك والانجليز من قبل ، وعرفوا فيه الاستعداد لخدمة السراى والانجليز مقابل الوصول الى الحكم والسلطة ، على حساب حق الشعب فى الدستور والحرية .

وقد بدأ الانقلاب الثانى ضد الدستور فى يونيو سنة ١٩٢٨ ، عندما استقال محمد محمود من وزارة النحاس الائتلافية ، التى كانت قائمة فى ذلك الحين ، ثم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتهى الأمر بتأليف محمد محمود للوزارة ، فى ٢٧ يونيه سنة ١٩٢٨ ... يقول عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « فى أعقاب الثورة المصرية الجزء الثانى ص ٤٥ » عن هذا الانقلاب الجديد ضد الدستور :

« بدأ الائتلاف يتعثر فى سيره فى عهد وزارة النحاس الأولى ، ذلك ان ثمة اتفاقا قد انعقد بين دار المندوب السامى البريطانى ، وحزب الاحرار الدستوريين والسراى ، على تعطيل الدستور » وكانت وجهة نظر السراى كما يقول الرافعى « أن الدستور يحول دون تدخلها فى الحكم ، وانفرادها به ، فكانت تترقب الفرص لتعطيله ، وكانت تعلم ان الحكومة البريطانية ، لا تعترض على اى انقلاب يدبر ضد الدستور ، أما « الاحرار الدستوريون » فهدفهم الوحيد ، هو الوزارة والمناصب ، واذا رأوا أنهم لا يصلون الى احتكار هذه المناصب ، وإرضاء جميع أعضاء حزبهم من طريق الدستور ، فليصلوا اليها عن طريق تعطيل الدستور ، وفى الحق انهم أسرفوا فى أطماعهم غاية الاسراف ، لأنهم كانوا مشتركين فعلا فى وزارة النحاس ، ولهم فيها أربعة مقاعد ، فماذا كانوا يبغون اكثر من ذلك ؟ ولكنها الاطماع الشخصية ، لا تقف بهم عند حد ، وهكذا كان تاريخهم القديم والحديث » .

ويقول الرافعى بعد ذلك فى نفس الكتاب « فى اعقاب الثورة المصرية الجزء الثانى ص ٤٩ » :

« كان حزب الاحرار الدستوريين هو محور هذا الانقلاب ، وان المرء لتأخذه الدهشة من ان حزبا لم يكن له فى البرلمان سوى ثلاثين نائبا ، على اكثر تقدير ، من مجموع ٢١٤ نائبا ، يستأثر بالحكم ، غير مكترث للأوضاع الدستورية ، ولا لارادة الأمة ، وتزداد دهشته اذا لاحظ ان الثلاثين مقعدا التى كانت لهذا الحزب ، لم ينل معظمها الا بسبب الائتلاف اذ لم ينل فى انتخابات سنة ١٩٢٤ سوى ستة مقاعد » .

« ولا شك ان اعتزام هذا الحزب الاستئثار بالحكم ، باشتراكه مع الاتحاديين الذين كان يخاصمهم من قبل ، معناه أنه يضمر تعطيل الحياة الدستورية ، لأن الدستور يتنافى مع تولى الحكم أقلية ضئيلة لا تتمتع بثقة الامة ، وقد ظهر فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الافق من اقالة الوزارة البرلمانية أن الحياة الدستورية ستلغى أو تعطل ، وهذا ماوقع فعلا ، وهكذا عاد حزب « الاحرار الدستوريين » الى خطتهم الاساسية فى الاعتداء على الدستور للوصول الى الوزارة ، وكان اعتداؤهم الأول فى أواخر سنة ١٩٢٤ ، واتضح أن تظاهرهم بالتوبة من هذا الوزر فى سنة ١٩٢٥ ، لم يكن الا لأنهم طردوا من الحكم وقتئذ ، ولم تكن توبة نصوحا ، فانهم عادوا الى فعلتهم الأولى ، لكى يستأثروا بالحكم ويقتسموا مغانمه » .

هذا هو ما كتبه الرافعى عن الانقلاب الثانى ضد دستور ١٩٢٣ ، وهو الانقلاب الذى قام به محمد محمود وحزبه ، حزب الاحرار الدستوريين . وتحليل الرافعى لهذا الانقلاب ، ولحزب الاحرار الدستوريين هو تحليل سليم ، فالحزب يتكون من مجموعة من الاقطاعيين وعدد من الرأسماليين ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، وهؤلاء جميعا يمثلون بحكم مصالحهم موقفا معاديا للشعب ، ومعاديا للحرية والديمقراطية ، ففى ظل حكومة شعبية منتخبة من الجماهير تستطيع هذه الجماهير أن تعبر عن مشاكلها فى داخل البرلمان ، وأن تسعى لنيل حقوقها الاقتصادية والسياسية ، وكل ما تناله الجماهير الشعبية من تقدم ، وكل ما تحققه لمصلحتها من قوانين وانجازات مختلفة هو ضد مصالح الاقطاعيين والرأسماليين الذين يريدون الاستئثار بالسلطة بعيدا عن أى رقابة شعبية ، حتى تزيد ثرواتهم على حساب طبقات الشعب الأخرى .

وقد واصل العقاد فى تلك الأعوام المجيدة من حياته السياسية ، حملاته على الرجعية ، على الاقطاعيين والرأسماليين ومن ورائهم الملك والانجليز . وقد وقف العقاد ضد محمد محمود وحكومته الرجعية ، موقفا فى غاية القوة والصلابة والحدة .

بدأ محمد محمود حكومته سنة ١٩٢٨ بالطعن فى شعب مصر ، وبالطعن فى أحقية هذا الشعب للحرية والدستور ، واعتبر أن البرلمان فى حالته الحاضرة ، لا يعين على الوصول الى الحالة الطبيعية التى تتوق اليها البلاد وأصدر بالفعل قرارا بحل البرلمان ، وشن حربا عنيفة على الصحافة ، وسمى حكومته باسم « حكومة اليد الحديدية » وأطلق يد الملك فى التصرف فى كل شىء فى البلاد ، فأصبح الملك حاكما مستبدا لا يعارضه أحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتصدى العقاد للحكومة الرجعية ، يحاربها ويهاجمها بمنتهى العنف والقوة .

كتب فى « كوكب الشرق » مقالا بعنوان « مجنون فى يده سيف » يقول :

« فلأجل أن تصبح مصر مستعمرة بريطانية ، قام محمد محمود فى الحكم ، وافترى على المصريين ما افتراه من الكذب والتشهير . ولأجل أن تصبح مصر مستعمرة بريطانية صنعوا كل ما صنعوه » (١) .

وكتب مقالا آخر فى « البلاغ » بعنوان « يد من حديد فى ذراع من جريد » وقد جرى عنوان هذا المقال على السنة الجماهير مجرى الأمثال ، وجعل من وزارة محمد محمود موضوعا للسخرية والتهكم لدى المواطنين ... يقول العقاد فى هذا المقال :

« خطيب بلا هوادة ... ! ومن هو الخطيب ؟ هو محمد محمود العيى الألكن ، المنكر الصوت ، المسلوخ المخارج كأنه عجائز الجوارى ينشزن فى محافل الزار ، هذا هو خطيب الوفود ، ورب الجنود ، والضارب على الدنيا فى غير هوادة بلسان من قصدير ويد من حديد » .

« وقف بين وفد قنا فتكلم ، وبين وفد أبى تيج فتكلم ، وبين وفد الجيزة فتكلم . وكان كلامه كله انه لا يهاود ، وأنه سيضرب بيد من حديد ! وما علمناه يملك الا تلك اليد التى تمتد فى الظلام ، الى اختلاس منصب ليس له باهل ، ولا هو من المؤتمنين عليه .. فلو صح القول لكان أحرى به أن يقول : انه سيضرب بيد من « ذهب » فانها أليق بالذين يتسللون فى الخفاء ، لاغتصاب ما لم ينالوه من طريق القانون والدستور والخلق الكريم » .

« خاطب المحافظين والمديرين فقال لهم : انه أمر بأن يعطوا من السلطة والنفوذ ، ما يسهل عليهم اداء مهمتهم على الوجه الأكمل ، فأما اللسان الذى يقول هذا فقد عرفناه ، فهو لسان الانجليز الذين طالما عطفوا وذابوا عطفا وحنانا على السلطة التنفيذية ، ورثوا لها رثاء الثكلى حين سلب البرلمان سلطتها وجردها من القوة الباطشة التى يريدونها لها ولا يريدونها للبرلمان » .

---

١ — عامر العقاد ـ صفحات من معارك العقاد السياسية ص ١٧٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« هذا هو اللسان . وأما اليد الباطشة الجبارة فلمن تكون ؟ يد الحديد نعنى ونسأل :

لمن تكون هذه اليد المستعارة فى ذراع محمد محمود ؟ »

« للانجليز ان شاء الباشا ، وهو لابد يشاء هذه السمعة ، لانه يريد الارهاب ، والناس لا يرهبونه ، وهو أعزل من قوة الأمة ، ومن قوة الشخصية ، ومن قوة الانجليز » .

« ولكن الانجليز لا يركبون يدهم الحديد فى ذراع من جريد ... فلا نظنها الا يدا ستبتر عما قريب »[1] .

وكما فعل نواب الأمة فى وزارة احمد زيور .. وزارة الانقلاب الأول على الدستور ، حيث اجتمعوا برئاسة سعد زغلول فى فندق الكونتنتال ، بعد ان منعتهم الحكومة من الاجتماع تحت قبة البرلمان ، فعل نواب الأمة نفس الشىء مع وزارة محمد محمود ، فقد حلت الوزارة البرلمان ، ومنعته بالقوة من الاجتماع تحت قبة البرلمان ، وقرر النواب ان يجتمعوا فى بيت أحدهم ، وهو بيت مراد الشريعى بشارع محمد على ، فى الساعة السادسة من مساء السبت ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٨ ، وفى هذا الاجتماع الذى عقد رغم أنف الحكومة ، وبدون أن تعرف الحكومة موعده ولا مكانه ، قرر النواب « ان البرلمان قائم وله حق الاجتماع ، ويقرر البرلمان ان وزارة محمد محمود ثائرة على الدستور ، ويعلن عدم الثقة بها ووجوب تخليها عن الحكم وأن كل تشريع تصدره هذه الحكومة يعتبر باطلا » .

ويعلق العقاد على هذه الحادثة الوطنية ، كما علق على الحادثة المشابهة سنة ١٩٢٥ ... يقول العقاد فى تعليقه الجديد :

« ظلت اليد الحديدية تنفتح وتنقبض ، وتنقبض وتنفتح سحابة يوم أمس ... ولعلها لا تزال منفتحة منقبضة الى هذه الساعة ، لتقبض على الشيوخ والنواب ، قبل أن يجتمعوا حيث ارادوا الاجتماع ... هذا ان لم يكن بلغها من ملحق « البلاغ » انهم قد اجتمعوا وانفضوا ، وأصدروا ما اصدروا من القرارات ، فيكون للبلاغ فضل عليهم ، نرجو ان يذكروه بالشكران ، والا ينسوه حين

---

١ ــ المرجع السابق ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يطبقون قانون المطبوعات ، الذى مضى عليه خمسون سنة ، وأعادوه الآن ، لأنهم يمشون بالبلد الى الأمام فى سبيل الحرية والحق » .

ثم يقول العقاد فى نفس المقال :

« مئتان بين شيوخ ونواب ، كل فرد منهم معروف ، وكل فرد منهم مراقب فى الأسبوع الأخير ، مراقب فى بلده ، مراقب فى بيته ، مراقب فى الفندق الذى ينزل فيه ، مراقب فى غدواته وروحاته ، وكل ذلك لتمنع الحكومة اجتماعا قد عرف يومه وساعته ، والمدينة التى ينعقد فيها ، ولم يبق الا أن يعرف البيت الذى ينعقد فيه ، ثم لا تنجلى هذه المراقبة كلها عن شىء ، ولا تؤخر الشيوخ والنواب دقيقة واحدة عن الساعة الموعودة ، ولا تعلم أعين الحكومة بالاجتماع الا كما علم سائر الناس غير جاهدين ولا مترقبين ... فالحق ان أعين الحكومة غير حديدة وان كانت لها يد من حديد » .

« تالله لهذه الحادثة وحدها كافية لسقوط الوزارة ، لو كان لقيام أمثال هذه الوزارة او سقوطها معيار معروف . فان وزارة من الوزارات لا يمكن ان تثبت عجزها عن التصرف ، وفشلها فى التدبير ، وجهلها بما يجرى حولها ، وغفلتها عما تهتم أشد الاهتمام بالتيقظ له ومنع وقوعه ، بأظهر من هذا الدليل الذى قضى عليها كل قضاء » .

ثم يسخر العقاد بعد ذلك من محمد محمود فيقول فى نفس المقال :

« ها انت تطلع على مسرح الدكتاتورية بعد مصطفى كمال وموسوليني فيتلقى الناس مطلعك الجميل بالطرب والسرور ، ويستزيدونك من هذه الفصول ، التى تنبسط لها الوجوه ، وتسرى عن النفوس ... لقد أتعبك الشيوخ والنواب فى هذه المرة وانت تعدو وراءهم ـ سامحهم الله ـ لاهثا من الحيرة وفرط الأعياء ، ففى المرة الآتية لا نراهم ينصفون اذا هم لم يطلعوك على اسم الشارع ، ورقم المنزل وعنوان البرق والبريد ، فحسبهم امتحانا ليدك الحديدية ، وسمعك المرهف ، ان يكتموا عنك مكان الحجرة التى ينتظر فيها الاجتماع ... »[1] .

---

١ ـ المرجع السابق ص ١٨٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت حكومة محمد محمود هى فى طابعها الرئيسى ، حكومة للاقطاعيين والاعيان ، وهم الذين كانوا يسمون أنفسهم باسم « أصحاب المصالح الحقيقية » ، وقد أورد الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه الهام عن « تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦ » ص ٦٨٧ فقرات من خطاب لاحمد عبد الغفار ، أحد الأعضاء البارزين فى حزب الاحرار الدستوريين ، واحد الاقطاعيين المعروفين ، وقد ألقى احمد عبد الغفار هذا الخطاب فى استقبال محمد محمود ، اثناء رياسته للوزارة سنة ١٩٢٨ عندما قام بزيارة للمنوفية ، وباعتبار احمد عبد الغفار ممثلا للمنوفية ... قال احمد عبد الغفار فى هذا الخطاب :

« اننا يا صاحب الدولة ، ويا اصحاب المعالى والسعادة ، والعزة ، نبتهج باستقبالكم ، ونرحب كل الترحيب بكم ، باعتباركم أعيان البلاد ، ووجوه ذوى الرأى والكلمة فيها ، وأقليمنا هذا والذين يرحبون بكم بنوع خاص ، يفهم حكومة الأعيان : يفهمها لان آباءهم وأجدادهم من الأعيان كانوا يفهمون حكم هذه الطائفة على وجهه الصحيح ، على انه اذا كان معنى الحكم السيادة على الناس ، فان لهذه السيادة مقابلا هو ان تكون سيادة أبوة واصلاح ، وأن تكون لمصلحة المحكومين لا لمصلحة الحاكمين . وطبيعى لهذا أن نرحب بكم أبلغ ترحيب لانكم تمثلون فى حكومتكم ما نفهمه ، وما كان يفهم آباؤنا من معانى الحكم ... »

لقد كانت حكومة محمد محمود هى حكومة الاقطاعيين والاعيان ، وكان مؤيدوها وانصارها يفخرون بهذه الصفة فيها ، كما رأينا فى حديث أحمد عبد الغفار ، وكانوا يحاولون تقديم تفسير خاص لهذه الصفة يجعل منها صفة طيبة فى المجال السياسى ، فحكم الأعيان ـ فى حساب هذا التفسير ـ هو حكم « الابوة والاصلاح » ولكن الحقيقة هو ان حكم الاعيان كان على الدوام حكما فى غير صالح الغالبية العظمى للشعب ، حيث كان هؤلاء الاعيان يفضلون التحالف مع القصر ، أو مع الانجليز ، على ان يتحالفوا مع القوى الشعبية الوطنية ، وهم اذا تحالفوا مع القوى الشعبية الوطنية لحظة فسرعان ما يتآمرون على هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التحالف وينسحبون منه كما فعلوا مع وزارة النحاس السابقة على قيام حكم محمد محمود .

كان العقاد منتبها أشد الانتباه ، لطبيعة حكم « محمد محمود » ، وحكم « الاحرار الدستوريين » بوجه عام ... انهم مجموعة من الاعيان والاقطاعيين ، تحالفت معهم قوى أخرى من الرأسماليين . ومن الارستقراطيين أو أدعياء الارستقراطية ، ولذلك فقد حرص العقاد ، فى هذه الفترة على أن يفضح « حكم الأعيان » هذا أمام الرأى العام ، ويكشف الأصول الاجتماعية لرجال هذا الحكم ... وهى الاصول التى تؤكد انفصالهم عن الشعب .

كتب العقاد فى البلاغ فى أواخر يوليو ١٩٢٨ ، سلسلة من المقالات يكشف فيها هؤلاء الحكام ، وكان أولهم بالطبع هو محمد محمود حيث يقول العقاد عنه :

« ... نجمل تاريخ محمد محمود فى كلمة واحدة هى مفتاح حياته كلها ، وتفسير مبادئه كلها ، وعنوان ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهى « الوظيفة » فمنذ اختار له أبوه مدارس الانجليز ، الى ان تكفل به « اللورد كرومر » فى وظائف الحكومة ، الى ان غضب عليه المستر « هينز » فعرف الوطنية واتصل بالوفد ، الى ان خذل الوفد ولحق الطائفة العدلية يوم توقع تأليف الوزارة على يدها ، الى ان خيبوا أمله فاعتصم بالائتلاف ، الى ان راح يوغر صدور النواب على ثروت باشا ، الى ما كان أخيرا من نقض الائتلاف ، وتعطيل الدستور ، وايقاع البلد فى شر محنة جناها عليها الوزراء فى تاريخها الحديث ، لا معنى لكل عمل من هذه الاعمال ، ولا غرض له ولا تفسير ولا عنوان ، الا الوظيفة ، وحب المنافسة بالالقاب ، بين أصحاب البيوتات فى الصعيد ! » .

« ومن عرف أن نفخة صاحبنا كلها لا ترجع الى شىء اكثر من ان جدا له ارتقى فى سالف الزمان ، الى درجة وكيل مديرية لم يستغرب ان يكون للقب صاحب الدولة ، ورئاسة الوزارة على عقله مثل ذلك السلطان الذى لا يغالب ، والغواية التى لا تدفع ، فهو مستضعف مغلوب على هواه ، لم تكتب له المتانة فى جسم ولا رأى ولا خلق ، ولا يد له فى الأمر الا ما يكون للمأخوذ المسحور وما هو الا المأخوذ المسحور بعينه وما نعرف له من الوصف الا انه الدكتاتور المسكين »[1] .

١ ـــ عامر العقاد ـ صفحات من معارك العقاد السياسية ص ١٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالعقاد فى حديثه عن محمد محمود ، يكشف عن نفسيته كواحد من الاعيان ، أو كما يقول العقـاد ـ من اصحاب « البيـوتات » فى الصعيـد » هؤلاء الذين يتنافسون على الالقاب والمصالح لا على خدمة القضايا والمبادىء وهؤلاء يترددون فى مـوقفهم ويتنقلون من موقف الى مـوقف ، لا لشىء الا لأنهم يجـرون وراء مصالحهم حيثما لاحت هذه المصالح ، وهم ايضا « خدام » السلطة حيثما كانت هذه السلطة ، فى يد الانجليز أو فى يد القصر . وفى مقال آخر نشره العقاد فى تلك الفترة « أول أغسطس ١٩٢٨ » يرسم العقاد صورة رائعة لأحد وزراء محمد محمود وهو الدكتور حافظ عفيفى ، وفى هذه الصورة يكشف العقاد بوضوح عن حقيقة نموذج من « أدعياء الارستقراطية » فى تلك الفترة ، وهم الذين تحالفوا منذ البداية مع الأعيان والاقطاعيين ووقفوا حياتهم على خدمتهم .

يقول العقاد عن حافظ عفيفى :

« أما حافظ عفيفى فمصيبته الكبرى انه يـدخن « البيبة » ، ويـزور نادى محمـد على ، ويتـرقق ويتخـافت فى الكـلام ، فهـو اذن جنتلمـان ! وهـو اذن ارستقراط ! وهو اذن من غير هذا الشعب الذى يـطالب بحقوق الاستقـلال ، وحقوق الدستور ... فلو كان الشعب كله أو لو كان زعماء الوفد كلهم يدخنون « البيبة » ، ويزورون نادى محمد على ، ويترققون فى الكلام ، لكانوا من طبقة حافظ عفيفى الجنتلمان الأرستقراط ، ولكن زعماء الوفد ـ أو أكثـرهم ـ طبقة أخرى من طراز ابراهام لنكولن لا من طراز الظرفاء الارقاء . لايفهمون الرشاقه ! لا يفهمون الاناقة ! لا يفهمون التأنث ! لا يفهمون الاندية والسهرات ! فاذا كان التاريخ قد أخطأ مرة فى تقدير إبراهام لنكولن وزملائه ، فحسبه هذا الخطأ فى القارة الأمريكية ، ولا ينبغى أن يتكرر خطؤه فى مصر مرة أخرى ، فيتقلد الزعامة أناس لا يدخنـون « البيبة » ، ولا يختلفـون الى نادى محمـد على ... ويحـرم الزعامة أناس يدخنونها ، ويجلسون هناك مع عدلى يكن وانداده ليتحدثوا كما يتحدث ندمان هذه الطبقات ! » .

« يمينا لو صدر قانون بتحريم تدخين البيبة ، والتأنث فى الكلام ، والجلوس فى النادى ، لرجع حافظ عفيفى فى اليوم التالى الى الشعب ، وآمن بحقه فى الدستور ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو لرجع الى الأيام التى كان يجوب فيها صحراء طرابلس ، من قلة العمل فى القاهرة ، ولا جنتلمانية ولا أرستقراطية ولا تأنث ! ... ولكن هذا القانون لم يصدر ، وتكاليف الجنتلمانية أخف من تكاليف الجهاد ، فالشعب اذن حقير وحافظ عفيفى رجل ممتاز » .

ورغم ما فى كلمات العقاد من سخرية لاذعة ، وهجاء مر لحافظ عفيفى ، الا أن هذه الكلمات تكشف عن فئة كاملة من أدعياء الارستقراطية بالحق والباطل ، كان عملها على مسرح السياسة المصرية ، هو التآمر على الشعب ومعاونة غيرهم من المتآمرين عليه ، وكانت نفسية هؤلاء جميعا هى نفسية التعالى على الشعب ، وعدم الولاء له ، والاعتزاز بالانتماء الى أوساط أجنبية فى لغتها وعواطفها ومصالحها . وقد لعبت هذه الفئة دورا سيئا فى السياسة المصرية فى شتى المراحل ، وكان على رأسها حافظ عفيفى ، كما كان من بين هذه الفئة حسن نشأت الذى ظهر قبل حافظ عفيفى ، وكان المهندس الأكبر لمؤامرات الملك فؤاد على الشعب ، وكان من بين هذه الفئة أيضا أمين يوسف وعبد الفتاح عمرو وغيرهما من أدعياء الارستقراطية فى سائر مراحل الحياة السياسية فى مصر المعاصرة . لقد كان ولاء هذه الفئة للانجليز والقصر والاقطاعيين والرأسماليين اكثر من ولائهم للشعب ومصالحه .

واذا كان العقاد قد هاجم الأعيان والاقطاعيين ممثلين فى محمد محمود ، وهاجم أدعياء الارستقراطية والمتفرنجين ممثلين فى حافظ عفيفى ، فانه قد شن هجومه على الرأسماليين ممثلين فى اسماعيل صدقى ، وبذلك يكون العقاد قد كشف التحالف الذى قام بين هؤلاء جميعا ... وهو تحالف رجعى ، هدفه القضاء على الحرية والديمقراطية ، وضرب المصالح الوطنية والشعبية ، بالتحالف مع الانجليز والقصر .

عندما أنشأت وزارة محمد محمود فى أواخر سنة١٩٢٨ ، ديوان المحاسبة واختارت اسماعيل صدقى رئيسا لهذا الديوان بدرجة وزير ، كتب العقاد مقالا بعنوان « المحتسب الأعظم اسماعيل صدقى باشا » « البلاغ ١٤ سبتمبر ١٩٢٨ » ... وفى هذا المقال يقوم العقاد بعملية تشريح قاسية وصريحة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاسماعيل صدقى ، كنموذج للرأسماليين المتحالفين مع الاعيان ، وأدعياء الارستقراطية فى التآمر على الشعب . وبهذا التشريح يكون العقاد قد كشف فى الضوء الساطع كل جوانب حركة محمد محمود الرجعية سنة ١٩٢٨ أمام الشعب وأمام التاريخ ... بحيث تبدو مقالات العقاد فى هذه الفترة صفحة مضيئة فى تاريخه النضالى ضد الرجعية المصرية ، وهى صفحة تتميز بالحرارة والاصالة وقوة التعبير ، مما أتاح لها تأثيرا شعبيا واسعا على الرأى العام ، كما ان هذه الصفحة تتميز بوضوح الفكر وعمقه وصحة الفهم للعناصر الثلاثة الرئيسية التى يتكون منها الحلف الرجعى الذى تآمر على مصر فى تلك الأيام .

وعناصر هذا الحلف هم ، أولا : الأعيان أو الاقطاعيون ، ثانيا : الارستقراطيون والمتفرنجون أدعياء الارستقراطية ، وثالثا : الرأسماليون .

يقول العقاد فى مقاله عن اسماعيل صدقى النموذج المثالى للرأسمالى فى التحالف الرجعى الكبير ، وذلك تعليقا على تعيين اسماعيل صدقى رئيسا لديوان المحاسبة بقرارا من حكومة محمد محمود سنة ١٩٢٨ :

« ... ما معنى تعيين اسماعيل صدقى باشا لهذا المنصب الذى جعله البرلمان وسيلة للاشراف على تنفيذ مقترحاته ورغباته ، ولم يجعله عبثا لارضاء شهوات المناصب واتقاء عداوات الخصوم ؟ ما معنى اختيار اسماعيل صدقى لهذا المنصب فى عهد وزارة يرأسها محمد محمود ؟ معناه الذى يجب أن يكون هو أن محمدا محمودا يقول لاسماعيل صدقى فى العلانية : « يا اسماعيل باشا ! انت رجل عفيف طاهر الذيل ، نقى السمعة معروف بالرغبة فى الأعمال المالية التى تجرب فيها قدرتك ، وتشبع فيها ميولك وتكون فيها مثالا يقتدى به فى النزاهة والاخلاص وصدق النية والاستقامة ، فها نحن نعطيك هذه الفرصة السعيدة لتجرب فيها قدرتك وتشبع فيها ميولك ، وتكون فيها مثلا يقتدى به فى النزاهة والاخلاص وصدق النية والاستقامة . فها نحن نعطيك هذه الفرصة السعيدة لتجرب فيها من نزاهتك وأمانتك ما هو مشهور ومعلوم ومعروف ومفهوم ... هذا معناه الذى يقوله محمد محمود فى العلانية ... أما المعنى الذى لا يقوله فهو : « انك يا صاح خطر علينا وأنت بعيد عنا ، فتعال معنا الى الحظيرة ، لنخربها على رأسك اذا خطر لك ان تخربها على رؤوسنا فى يوم من الأيام .. » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ولماذا تخربها وتفكر فى خرابها وها أنت فى هذا المنصب السرى تفعل ما تشتهى وتبلغ ما تروم ! كذلك يقول محمد محمود فى الجهر والخفاء » وأنه لقول جدير بوزارة الاخلاق وحرى بالقوم الذين نقضوا دستور أمة لأنهم قوم مصلحون لا لأنهم طلاب منفعة منهومون بتوزيع المناصب وتقسيم أسلاب الوظائف » .

« اننا نقول مع محمد محمود كل ما يريد أن يقول فى اسماعيل صدقى ... نقول انه رجل أمين عفيف ، ورجل طاهر السمعة شريف ، ورجل قدير فى تناول المسائل المالية ، خبير بتدبير الصفقات الاقتصادية ، كل ذلك نقوله وننادى به ونضيف اليه من عندنا سطرا آخر على سبيل العلاوة والتوكيد ، وهو ان اسماعيل صدقى لا يبالى بمصلحته فى خدمة المصلحة العامة ، ولا يفعل الا ما هو جميل وكريم » .

« ذلك مقرر محقق لا ريب فيه ولا جدال ، ولا خلاف ولا مراء ، ولكن مقرر محقق لا ريب فيه ايضا ولا جدال ولا خلاف ولا مراء ان اسماعيل صدقى مستشار لشركات الدخان .

وان اسماعيل صدقى رئيس أو مدير لشركة احتكار الأدوية .

وان اسماعيل صدقى مستشار لشركة السيارات المعروفة باسم شفروليه .

وان اسماعيل صدقى له علاقات مالية بكثير من المشروعات والشركات الاقتصادية وان اسماعيل صدقى عضو فى مجلس الادارة ببعض المصارف المشهورة » .

« فاسماعيل صدقى هذا ليس بالرجل الذى تسند اليه الرقابة على مصروفات الحكومة واعتماداتها لأن صاحب هذا المنصب يجب ان يكون بمعزل عن جميع العلاقات المالية ، وأن تطمئن الشركات جميعها اليه وتعتقد ان علاقاتها معه قائمة على اساس المساواة فى كل شىء » .

هذه هى خلاصة موقف العقاد فى « العشرينات » اى منذ قيام ثورة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٠ .

لقد وقف العقاد الى جانب الوفد وسعد زغلول والنحاس من بعده وقفة صلبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قوية ، وكان جوهر موقفه الرئيسى هو الدفاع عن الدستور والحرية ضد الانجليز والقصر ، كما كان العقاد فى تلك الفترة خصما عنيدا للرجعية ، وخاصة فى معناها « السياسى » حيث حاولت الرجعية مرتين فى « العشرينات » ، تعطيل الدستور وفرض حكم استبدادى على الشعب ... المرة الأولى على يد احمد زيور ، والثانية على يد محمد محمود ، ولم يكن هجوم العقاد على الرجعية هادئا ، بل كان عنيفا وقاسيا وكان نوعا من التشهير بالرجعية وفضحها أمام الجماهير والرأى العام .

وكانت كتابات العقاد فى تلك الفترة ، تعبيرا صادقا عن الثورة الوطنية فى مصر ، تلك الثورة التى قامت تحت قيادة الطبقة الوسطى « البورجوازية » من الطلبة والمحامين والأطباء والتجار ، وكان الهدف الأول لهذه الثورة الوطنية هو التخلص من الاحتلال الانجليزى بجلاء قواته عن الأراضى المصرية ، وتدعيم الديمقراطية البرلمانية حتى يختار الشعب ممثليه فى البرلمان بحرية حقيقية دون ضغط أو أرهاب .

وفى هذه الحدود كان العقاد يعمل بكل ما لديه من قدرة وموهبة وذكاء وثقافة ومثابرة للتعبير عن هذين الهدفين والدفاع عنهما بقوة وحرارة . ولعل هذا الاندفاع فى التعبير عن الهدفين الرئيسيين للثورة الوطنية « الجلاء والدستور » هو الذى لم يترك للعقاد فرصة لاكتشاف بعض الاخطاء الرئيسية فى دستور ١٩٢٣ ، هذا الدستور الذى قال عنه نهرو فى كتابه « لمحات من تاريخ العالم ص ٢٩٣ ـ الترجمة العربية » :

« أهدى لمصر « المستقلة » دستور لا يشبهه دستور آخر فى الرجعية ، وهو دستور أعطى الملك فؤاد ، ذلك الحاكم الذى فرضه الانجليز على المصريين صلاحيات واسعة جدا » وهذه النقطة التى أشار اليها نهرو ، هى نفسها التى انتقدها سعد زغلول فى حديث له حيث قال : « اذا كان من الخطر أن توضع سلطة كبيرة فى أيدى الملوك ، الذين هم بمعزل عن نفوذ أجنبى ... فالخطر من ذلك أعظم وأشد ، فى بلاد يسود فيها النفوذ الاجنبى ، ويدعى ان العرش فى سلامته بفضل جنوده ... فهذه القوة التى تركت للملك ، ستصبح فى الواقع حقوقا فى يد الاجنبى ، يستعملها لاغراضه ضد مصالح الوطن » ... لم يلتفت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقاد لمثل هذه الاخطاء فى الدستور ولم ينبه اليها ، ولعل موقفه فى ذلك الحين كان متأثرا بموقف الوفد الذى قبل دستور١٩٢٣ فى آخر الأمر رغم عيوبه ، ورغم ما فيه من نصوص رجعية ، ذلك لأن الدستور كان يسمح من الناحية العملية بأن يعبر الشعب عن رأيه ، وينتخب ممثليه فى البرلمان ، رغم القيود الموضوعة على هذه الانتخابات ، وقد أثبتت التجربة أن اللحظات القليلة ، التى التزمت فيها الحياة السياسية بالدستور ، كانت هى اللحظات التى يصل فيها حزب الوفد وهو حزب الاغلبية الشعبية الى السلطة ، وفى هذه اللحظات كانت الهزيمة تحل بالانجليز وبالقصر على السواء .

على ان الباحثين التقدميين المعاصرين ، قد لاحظوا الموقف الرجعى لدستور ١٩٢٣ من الناحية الاجتماعية، وهى ملاحظة لم يلتفت اليها العقاد فى تلك الفترة ، وقد نص دستور ١٩٢٣ فى مادته التاسعة على « ان الملكية ، حرمة ، فلا ينزع من احد ملكه الا بسبب المنفعة العامة ، فى الاحوال المبينة فى القانون ، وبالكيفية المنصوص عليها فيه ، وبشرط تعويضه عنها تعويضا عادلا » ، كما اشترط الدستور على من يرشح نفسه للانتخابات ان يدفع ١٥٠ جنيها . ويعلق الدكتور عبد العظيم رمضان على النص الخاص بالملكية الفردية قائلا : « بهذه المادة ضمنت طبقة كبار الملاك الزراعيين ، والرأسماليين الاحتفاظ بممتلكاتها ، وعدم محاولة نزعها منهم لاعادة توزيع الملكية الزراعية بصورة عادلة . وأصبحت أى دعوة لمثل هذا الاجراء الأخير جريمة يعاقب عليها القانون . وبهذا أيضا أصبح من المتيسر استخدام الدستور وسيلة لمناهضة الدعوات ، التى قد تنادى بتأميم الخدمات العامة ، وكذلك الصناعات الاحتكارية ، التى تهدد مصالح الجماهير » .

« ومعنى هذا ان الحرية السياسية التى كفلها الدستور لجميع المصريين ، قد اصبحت من جهة الحقيقة والواقع ، قاصرة على الطبقة البرجوازية ، والكبيرة منها على وجه الخصوص . فباحتفاظ كبار الملاك الزراعيين والرأسماليين بثرواتهم ، صار فى مستطاعهم ، بفضل ما يتمتعون به فى الريف ، من نفوذ اقتصادى واجتماعى ، ان يدفعوا بأنفسهم وأنصارهم الى البرلمان ، وأن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يسيطروا على الاحزاب التى يغذونها بالأموال ، وبالتالى على الاداة التنفيذية . وهكذا يكفلون حماية مصالحهم . وبمعنى آخر ان الديمقراطية التى اقامها دستور ١٩٢٣ ، لم تكن فى حقيقتها الا دكتاتورية البرجوازية الكبيرة ، وقد اكد الدستور هذه الحقيقة ، عندما اشترط على من يرشح نفسه للبرلمان ، دفع تأمين قيمته ١٥٠ جنيها ، وهو تأمين باهظ ، كفيل وحده بصد الطبقات الجماهيرية العاملة ، عن الاقتراب من مقاعد البرلمان . فاذا أضفنا الى ذلك عجز تلك الطبقات عن تحمل نفقات المعارك الانتخابية فى ذلك العهد ، أدركنا سبب عدم دخول اى فلاح أو عامل ، مجلس النواب المصرى حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو »[١] .

لم يلتفت العقاد اذن الى جوانب الضعف المختلفة فى دستور ١٩٢٣ ، وقد كان العقاد فى هذا الموقف يعبر عن التيار الرئيسى فى الحركة الثورية المصرية فى ذلك الحين ، وهو التيار الذى مثله حزب الوفد خير تمثيل ، فقد كانت الأهداف الرئيسية أمام هذا التيار الوطنى الجارف ، تتركز فى تحرير البلاد من الاحتلال الانجليزى ، وهو مطلب أساسى وضرورى ، حتى بالنسبة لدعاة الثورة الاجتماعية ، فالاحتلال هو السند القوى للاقطاعيين والرأسماليين وسائر فئات الرجعية المحلية ، ولا يمكن التفكير فى اصلاحات اجتماعية حقيقية دون القضاء على الاحتلال ، ومن هنا التفت الجماهير الشعبية ، من الفلاحين والعمال والطبقة الوسطى حول زعامة سعد زغلول والوفد المصرى ، فقد أدركت هذه الجماهير ، انه لا خلاص لها مع وجود الاحتلال ، ولا أمل أمامها فى تحقيق أهدافها فى الثورة الاجتماعية ، والانتصار على الرجعية ، الا بضرب الاحتلال وتحقيق الجلاء . فالانجليز هم السند الأكبر للرجعية فى كل المجالات والظروف .

وهذه المعركة الوطنية التى خاضتها مصر بقيادة سعد زغلول والوفد المصرى ، والتى عبر عنها العقاد خير تعبير فى « العشرينات » ، هى التى تفسر لنا ما يقوله نهرو عن حزب الوفد ، فى كتابه « لمحات من تاريخ العالم » :

« كانت حركة الوفد حركة وطنية بورجوازية ، كانت تناضل فى سبيل الاستقلال ، ولم تتدخل فى الاصلاحات الاجتماعية . وعندما كان البرلمان ينعقد ،

---

١ ــ عبد العظيم رمضان ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر ص ٢٩٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت تعمل اعمالا طيبة فى حقل التعليم وغيره من الحقول . والحقيقة أن البرلمان قد عمل فى فترة وجيزة ، اكثر مما عملت الادارة الانجليزية خلال الاربعين سنة السابقة ، برغم انشغاله فى الكفاح الوطنى . وقد ظهرت شعبية الوفد فى الانتخابات والمظاهرات ، ومع ذلك فان حركته التى تمثل الطبقة الوسطى ، لم تستطع اثارة حماس جماهير الشعب الى الحد الذى تستطيعه حركة تهدف لاصلاحات اجتماعية واسعة » ... هذا هو ما كتبه نهرو عن حركة الوفد فى العشرينات والثلاثينات ، ولا شك ان الفكر الاجتماعى قد بدأ يترك تأثيره على حركة الوفد فى الاربعينات ، اى بعد ان كتب نهرو كتابه ، وذلك على يد المثقفين الاشتراكيين ، من أمثال محمد مندور وعزيز فهمى . ولكن الطابع الرئيسى لحركة الوفد ، بقى كما يقول نهرو فى نطاق النضال « الوطنى السياسى » ، بعيدا عن المطالبة باصلاحات اجتماعية ذات طابع ثورى ، كالدعوة الى تحديد الملكية ، أو الدعوة الى تأميم الخدمات العامة مثل الطب وغيره ، ومع ذلك فالدور الذى قام به الوفد فى قيادة الثورة الوطنية ، كان دورا رئيسيا ، بل كان هو الدور الرئيسى فى مجال الحركة الوطنية ما بين ١٩١٩ و١٩٥٢ .

فى هذا الاطار وفى الفترة من ١٩١٩ الى ١٩٣٠ ، كان العقاد يتحرك بفكره السياسى ، فقد كان يحارب بقوة من اجل الاستقلال والحرية ، ولكنه لم يلتفت للمعركة الاجتماعية ، ولم ينتبه للنصوص التى تقيد الثورة الاجتماعية فى دستور ١٩٢٣ ، ولم يكن عدم التفات العقاد فى تلك الفترة للقضية الاجتماعية بأمر ذى بال ، فقد كانت القضية الرئيسية للشعب هى قضية التحرير الوطنى أولا وقبل كل شىء ، وكان العقاد فى ميدان الكفاح الوطنى ، يقف على أقصى بعد من أبعاد اليسار والتطرف الذى لا يعرف المساومة والاعتدال . ولكن المشكلة هى أن عدم رؤية العقاد للبعد الاجتماعى فى ذلك الحين. كان جرثومة كامنة فى تكوينه الفكرى ، أثرت عليه بعد ذلك وفى الأربعينات على وجه الخصوص ، عندما ظهرت القضية الاجتماعية على سطح الحياة السياسية المصرية بقوة ... لقد كانت هذه الجرثومة القديمة الكامنة فى فكر العقاد ، وهى عدم رؤيته الواضحة للعنصر الاجتماعى ، الموجود فى الصراع السياسى ، هى التى ساهمت فى ان تدفعه فى القسم الثانى من حياته الى الوقوف بجانب الرجعية ، ومساندتها والدفاع عنها ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومحاربة شتى ألوان الفكر اليسارى ، بعد أن كان العقاد من أعنف أعداء الرجعية ، وأشدهم خصومة لها فى العشرينات ، والنصف الأول من الثلاثينات ، وعندما كانت المعركة هى معركة الجلاء والدستور ، أما عندما أصبحت معركة الشعب فى الاربعينات ، هى معركة العدالة الاجتماعية ، وتحقيق مطالب الجماهير العشبية ، فى الخبز والتعليم والعلاج ، فقد انتقل العقاد كما سنرى فى القسم الثانى من حياته ، الى صفوف الرجعيين بعد ان كان فى طليعة الثوار .

على ان العقاد فى تلك الفترة الأولى من حياته السياسية ، فترة ثورة ١٩١٩ وما بعدها ، يقدم ولا شك نموذجا رائعا للكاتب الوطنى الثورى الحر ، المدافع عن حقوق الشعب ، ولم تكن المطالب والأهداف الاجتماعية واضحة أمام الثورة الوطنية فى ذلك الحين ، لأن هدفها الأكبر ، وهو القضاء على الاحتلال واقرار الدستور وحمايته ، قد غطى على جميع الاهداف الاخرى ، حيث ان تحقيق الجلاء ، وحماية الدستور ، كان شرطا أساسيا سابقا على أى حركة اخرى الى الامام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعنف معارك العقاد
ضد الرجعية سنة ١٩٣٠

كانت سنة ١٩٣٠ فى حياة العقاد السياسية سنة صعبة وقاسية ، ولكنها كانت سنة مليئة بالنضال ، ولعل هذه السنة بالذات ، أن تكون اكثر السنوات فى تاريخ العقاد السياسى كله اشراقا ، وامتلاء بالمواقف العنيدة والصلبة ، وقد انتهت هذه السنة بدخول العقاد السجن ، بعد الحكم عليه بتسعة أشهر ، عقابا له من جانب الملك والرجعية على مواقفه الشجاعة .

فى يناير سنة ١٩٣٠ تولى مصطفى النحاس الحكم ، بعد سقوط حكومة محمد محمود ، وبعد انتخابات حرة أجراها عدلى يكن ، وكان من نتيجتها فوز الوفد بالأغلبية الساحقة فى البرلمان ، وكان العقاد احد الذين نجحوا فى الانتخابات ، حيث دخل البرلمان كنائب وفدى . ولكن الملك فؤاد لم يهدأ له بال ، بقيام هذه الوزارة الشعبية المؤيدة بأغلبية برلمانية ساحقة ، وأخذ الملك يتآمر على الوزارة ، حتى انتهى به الأمر فى شهر يونيو من نفس العام ، أى بعد ستة أشهر فقط من قيام هذه الوزارة ، الى تعطيل مشروعات القوانين ، التى كانت الوزارة تقدمها الى الملك لتوقيعها ، وأصبح عمل الوزارة مستحيلا ، فقدم النحاس استقالته الى الملك وقال فى هذه الاستقالة : انه يتقدم بها « نظرا لعدم تمكننا من تنفيذ برنامجنا ، الذى قطعنا على أنفسنا العهد بتنفيذه » ، وفى يوم تقديم الاستقالة وهو يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٣٠ ، حضر النحاس جلسة مجلس النواب المنعقدة فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك اليوم نفسه ، وأعلن تقديمه للاستقالة لانه لم يستطع ان يحقق أهداف هذه الوزارة ، فى « صيانة أحكام الدستور ، وإحاطته بسياج من التشريع ، يكفل له حياة متصلة ونموا مطردا » . وغادر النحاس مجلس النواب ومعه وزراؤه بعد ان ألقى بيانه ، وهنا وقف الدكتور أحمد ماهر وقال للنواب : « ... لقد سمعتم بيان حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء فيجب أن تسمع الأمة صوتكم اليوم ، نعم يجب أن تسمع البلاد تأييدكم لصاحب الدولة الرئيس ، فى موقفه المشرف ، الذى يعمل به للدفاع عن الحياة النيابية ، وعن النظام الدستورى للبلاد » ... وقوبلت كلمة أحمد ماهر بالتأييد والحماس ، وأعلن مجلس النواب الثقة بالوزارة ، وفى هذه الجلسة نفسها ، وفى جو من الحماس الذى أثارته كلمة الدكتور أحمد ماهر ، وقف العقاد فى مجلس النواب ليقول :

« ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق اكبر رأس فى البلاد ، فى سبيل صيانة الدستور وحمايته » وأحس أحمد ماهر بخطورة هذه العبارة ، وأحس بمسئوليته عن الهاب حماس النواب فوقف قائلا : « ما هذا ياستاذ عباس انا لا اسمح بمثل هذا الكلام » .

وطلب أحمد ماهر حذف هذه العبارة من مضبطة الجلسة . وحذفت العبارة بالفعل ، ولم تنشرها الصحف الوفدية فى الصباح التالى . ولكن صحيفة « السياسة » التى يملكها الاحرار الدستوريون ، حرصت على نشر هذه العبارة ، ووجدت فيها فرصة للتحريض على الوفد وزعمائه ، وقالت فى التعليق على هذه العبارة : « سترى الامة غدا ان هذه العبارة تعبر بالفعل عن نفسية الوفد ونوابه ، ولولا هذا لما صفق النواب »[1] .

وقبلت استقالة النحاس بعد يومين من تقديمها ، رغم تأييد النواب ، ورغم المظاهرات التى عمت البلاد لتطالب الملك بعدم قبول الاستقالة ... وفى صفوف الشعب انتشرت عبارة العقاد فى مجلس النواب انتشارا واسعا وسريعا ، وقرر الملك فؤاد الانتقام من العقاد فى اللحظة المناسبة .

وقد لقى العقاد من اصدقائه تحذيرا بأن الملك يمكن ان يدبر له تهمة ويأمر

---

١ ــ عبد العظيم رمضان ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر . ص ٧٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحبسه ، ولذلك حاول بذكاء بالغ ، ودون أن يتراجع عن موقفه الصلب ، ان يفسر ما قاله فى مجلس النواب بما يضمن عدم وقوعه تحت طائلة القانون الذى يحمى الملك ، ويعاقب كل من يدان بتهمة العيب فى الذات الملكية ، فقد كتب العقاد بعد يومين من موقفه فى مجلس النواب أى فى ١٩ يونيو سنة ١٩٣٠ فى جريدة « كوكب الشرق » مقالا تحت عنوان « ان البلاد مستعدة لأن تسحق كل رأس يخون الدستور » . ومن الملاحظ ان العقاد أجرى بعض التغيير على عبارته بما يتيح له التخلص من تهمة العيب فى الذات الملكية ، فبدلا من ان تكون العبارة هى أن البلاد مستعدة لسحق « أكبر رأس » يخون الدستور ، أصبحت « أن البلاد مستعدة لسحق كل رأس » ... ففى العبارة الأولى يصبح الحديث متجها الى الملك بصورة مباشرة ، فهو « اكبر رأس » فى البلاد ، أما العبارة الثانية « كل رأس » فهى عبارة عامة لا تخص الملك وحده ، ويمكن من خلالها ابعاد التهمة عن العقاد .

وفى هذا المجال ، بالاضافة الى ما قام به العقاد من تغيير فى عبارته المشهورة ، يحاول العقاد ان يؤكد ان دعوته لحماية الدستور ، هى فى نفس الوقت دعوة لحماية النظام القائم ... يقول العقاد فى هذا المقال :

« ان البلاد مستعدة لأن تسحق كل رأس يخون الدستور . هكذا نقول اليوم ، وهكذا نقول غدا ، وهكذا يقول القانون والدستور ، فان مصر دولة ملكية دستورية ، تعد خيانة الدستور فيها جريمة لا تغتفر ، وتعد حماية الدستور فيها فريضة لا تنسى ، وواجبا أقسم الجميع عليه يمين الطاعة والولاء » .

وفى مقال آخر فى « كوكب الشرق » نشر فى ١٧ يونيه سنة ١٩٣٠ ، وهو اليوم الذى خرج فيه النحاس من الوزارة ، كتب العقاد يقول منبها الى أن دعوته لحماية الدستور لم تكن دعوة ضد الملك ، بل انها ينبغى ان تفهم على انها دعوة لصالح الملك والشعب معا ... يقول العقاد فى هذا المقال .

« ويلوح لنا اننا فى غنى عن القول ، ان حماية الدستور مصلحة عامة لكل من فى مصر ، من أرفع مقام الى أصغر صغير فى سواد الجماهير . فلا ننسى ان جو الانقلاب ، قد شجع أناسا من اصحاب المآرب ، على الطمع فى المقام الأرفع ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسعى هنا وفى أوروبا لتحقيق ما يطمعون فيه . ولم يحدث شىء من هذا قط فى عهد الدستور ، ولا يعقل أن يحدث فيه يوما لأنه العهد الذى يقوم على النظام ، وحماية أصغر الحقوق فضلا عن الحق الأكبر الجليل » .

وفى مقال آخر فى « كوكب الشرق » فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ كتب العقاد يقول :

« ... فحماية الدستور ضمان ، لا يكرهه فى الحقيقة الا الخوارج من أعداء الحياة النيابية ، وأعداء العرش والنظام » .

وهكذا حاول العقاد أن يفوت الفرصة على أعدائه ، حتى لا يزجوا به الى السجن بتهمة هجومه على الملك ، ولكنه فى نفس الوقت حرص على ألا يكون « تفويت » هذه الفرصة على الاعداء مجالا للتراجع عن موقفه الديمقراطى الاصيل ، فى دفاعه الشجاع عن الدستور .

وكل ما كتبه العقاد فى هذه المقالات ، هو نوع مما يمكن تسميته « بالتكتيك » السياسى ، الذى يخدم الهدف أعظم الخدمة ، ويتيح لقلمه ان يستمر فى أداء دوره النضالى الكبير ، فى الدفاع عن الديمقراطية ودستور البلاد .

لقد كان موقف العقاد فى عام ١٩٣٠ صلبا ورائعا ، وكان يكافح بقلمه من اجل الديمقراطية ، فى ظروف غاية فى الصعوبة والتعقيد ، فالملك ضده ووزارة الشعب برئاسة النحاس قد استقالت بطريقة لا فرق بينها وبين الاقالة ، واسماعيل صدقى يتولى الحكم ، ويعلن عن نواياه الارهابية بلا تردد ، والبرلمان الذى كان العقاد عضوا فيه قد تقرر حله . وهكذا ... كانت الظروف كلها ضد العقاد ، ولكنه لم يفقد شجاعته ولا صلابته الوطنية فى ذلك العام ، فاستمر فى نضاله بقوة وبلا مهادنة أو تردد .

وكانت سنة ١٩٣٠ هى السنة التى خاض فيها العقاد أروع وأعنف معاركه على الاطلاق ضد الرجعية ، ومنذ اللحظة الاولى لوزارة اسماعيل صدقى ، وقبل ان يقع الانقلاب الدستورى الكامل ، باعلان الغاء دستور ١٩٢٣ وفرض دستور جديد على البلاد ، يؤكد سلطات الملك الاستبدادية ، ويقضى على كافة الحريات الشعبية .. قبل ان يحدث هذا بالفعل ، كان من الواضح ان خطة الوزارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجديدة ، هى تحقيق هذا الانقلاب الدستورى ، بمساعدة الملك فؤاد بل بتوجيه كامل منه .

وهنا وقف العقاد وقفته الصلبة ضد صدقى ، وضد خطة الوزارة الجديدة ، وتعتبر المقالات التى كتبها فى هذه الفترة نموذجا حيا للكتابة الثورية العنيفة المتمردة الواعية ، ضد سلطة رجعية مغتصبة ، تتحدى ارادة الشعب ، وكان العقاد ينشر هذه المقالات الفريدة فى جريدة يومية أنشأها الوفد ، وكانت هذه الجريدة تنطق بلسان الوفد ، بعد ان أغلق صدقى معظم الصحف الوفدية المعروفة ، مثل « البلاغ » و « كوكب الشرق » وكانت هذه الجريدة هى جريدة « المؤيد الجديد » لصاحبها محمد فهمى الخضرى ، وقد صدر العدد الاول منها يوم الاربعاء ٧ مايو سنة ١٩٣٠ ، وقد كتب صاحب الجريدة يقول عنها وعن خطتها السياسية ، فى ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٠ ، وهو يشير فى هذه الكلمات الى ان « المؤيد الجديد » سوف يمضى فى نفس طريق « المؤيد القديم » ، مؤيد الشيخ على يوسف ...

يقول الكاتب :

« وقد عاهدت الله وأعاهد القراء ، على ان يعود المؤيد سيرته الاولى ، جريدة مصرية وطنية على مبادىء الوفد المصرى ، وهى المبادىء التى رسمها للأمة ذلك الزعيم الجليل المغفور له سعد باشا ، فهى تؤيد الحياة النيابية ، وتتمسك بصيانة الدستور من كل عبث به ، وتحافظ على مبدأ سلطة الامة وسيادتها ، وتدافع عن الحرية من جميع جهاتها وصفاتها ... هذه نيتنا وغايتنا ، فان عطّلتنا الوزارة الحاضرة فاننا سنعود بالمؤيد مرفوعا معززا مكرما ، قصر الزمان أو طال ، ولن يقف فى سبيل اهل العزيمة حاجز ولا حائل ... »

فى هذه الصحيفة ، صحيفة المؤيد الجديد ، كان العقاد يكتب يوميا على التقريب ضد الرجعية والرجعيين ، وكانت حملته نارية عنيفة ، وقد وجد الملك فؤاد فى هذه الحملة فرصته المناسبة ، لاعتقال العقاد والحكم عليه بالسجن ، انتقاما منه على موقفه فى البرلمان ، وعلى صرخته المشهورة ، والتى لم يكن بالامكان محاكمته عليها لانها كلمة قيلت فى البرلمان ، فهى محاطة بالحصانة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البرلمانية ، كما أن رئيس المجلس قد طلب ـ حماية للعقاد ـ رفعها من مضبطة الجلسة .

كان هجوم العقاد مركزا على الرجعية والرجعيين ، وعلى رأس قائمة المتهمين فى رأى العقاد ، يقف اسماعيل صدقى ، ولذلك شن العقاد هجوما عنيفا عليه . ولعل اسماعيل صدقى ذلك الرأسمالى الكبير ، وأحد الممثلين البارزين للظلم الاجتماعى فى تاريخ مصر الحديث ... لعل صدقى لم يعرف فى حياته هجوما بعنف هذا الهجوم الذى شنه العقاد ضده .

يقول العقاد فى مقال بعنوان (ابو الفلاح) منددا بالذين أطلقوا هذا الوصف، على اسماعيل صدقى ، « جريدة المؤيد ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٠ » :

« ابو الفلاح ؟ اى نعم . ابو الفلاح المسكين ، الذى يلدون له فى كل ساعة أبا ، وهو حائر بأبنائه الكثيرين ، لا يدرى ماذا يصنع معهم ، بكثرة هؤلاء الآباء » .

ثم يقول العقاد عن اسماعيل صدقى ، انه يستحق اللقب من الفلاحين بشىء كثير لا بشىء قليل :

« استحقه اولا : بالجهد الجهيد الذى يبذله فى حرمان الفلاح المصرى من حق الانتخاب ، وحصر هذا الحق العام فى أقل عدد مستطاع من غير الفلاحين . واستحقه ، ثانيا : بإهمال مشروع البنك الزراعى ، الذى قررته وزارة الشعب ، لانقاذ الفلاحين من براثن المرابين ، واستحقه ، ثالثا : بزيادة التعريفة الجمركية على السكر الوارد من الخارج ، دون أن يفكر فى زيادة ثمن القصب الذى تشتريه الشركة من الفلاحين . واستحقه ، رابعا : ببيع ثلاثين الف فدان لشركة كوم امبو ، دون ان يفكر فى وقاية ارض الفلاحين الفقراء من النشع الذى يصيبها ، ويضطرهم الى ترك أرضهم وخدمة الشركة بأبخس الاجور . واستحقه خامسا : بإرضاء الاتحاد البريطانى الذى يسره ويسر أضرابه أن يهبط سعر القطن الى عشرة ريالات . واستحقه سادسا : بهذه الازمة التى جلبها على الفلاح وغير الفلاح ، فهبط سعر القطن على يديه جنيهين اثنين فى كل قنطار ، ولا يمكن ان نعلل ذلك بالأزمة العالمية ، لان القطن يزرع فى بلاد أخرى غير مصر ، ولم يهبط ثمنه أخيرا فى واحدة منها كما هبط فى هذه البلاد . واستحقه ، سابعا : بالبيوع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى يبـاع فيها أردب القمـح بنصف ثمنه ، وأقـل من نصف الثمن فى بعض الاحيان ، كأنما أسعار المحصـولات فى حاجـة الى المزيـد من عوامـل النزول والكساد » .

ويعلق العقاد بعد ذلك بقوله :

« بهذا وما شاكله من خدمة الشركات ، واهمال الفـلاح ، استحق صاحب الدولة « الكفاءات » ان يلقب بأبى الفلاح ، وأن يكسب فى أقل من ثلاثة شهور ما كسبه الحكام الروس فى اكثر من ثلاثة قرون . فلم يبق الا ان نهنىء الفلاح ونبارك له بالأب الجديد ، الذى أنجبه فى العهد الاخير . والفلاح أدرى الناس بمعنى هذه التهنئة وهذا التبريك » .

وكما نرى يفضح العقاد هنا بصورة قوية واضحة موقف اسماعيل صدقى حيث يكشف عن حقائق المصالح الرأسمالية التى يمثلها صدقى ، والتى تتجه الى ضرب الطبقات الشعبية فى مصالحهـا اليوميـة بعنف وقسوة ، ويكشف هـذا المقال ، عن مدى ما كانت تتميز به كتابات العقاد السياسية فى سنة ١٩٣٠ ، من وعى دقيق بحقيقة المؤامرات السياسية ضد الشعب ، فلم يكن يهاجم صدقى هجوما سياسيا فقط ، بل كان يعمل على فضحه فى الميدان الحقيقى لمؤامرته ضد الشعب ... وأقصد بهذا الميدان : ميدان الاقتصاد .

وينتبـه العقاد فى هـذه الفترة اللامعـة من تاريخـه ، الى قضية « حـريـة الصحافة » وما حاولته الرجعية المصرية بقيادة اسماعيل صدقى ، من ضرب الصحافة بشدة ، فكانت تصادر الصحف ، وتصدر قـرارات باغـلاقها ، اذا ما اتجهت هذه الصحف للتعبير عن مصالح الشعب ، أما الصحف المحايدة أو الممالئة لوزارة صدقى ، فهى وحدها التى تبقى وتستمر . يقول العقاد فى مقال « الصحافة والدستور ـ المؤيد الجديد ـ ٢٤ اغسطس سنة ١٩٣٠ » :

« يظهر « المؤيد الجديد » وللأمة دستور وصحافة .. فأما الدستور فأين هو ؟ وأين معالمه وآثاره ؟ وأين حدوده وحرياته ؟ كل ما بقى منه أن تغلق الصحف باسمه . وأن نسمع الحين بعد الحين أن هناك مادة فى الدستور اسمها المادة الخامسة عشرة ، وصناعتها ان تعرض الصحافة للاغلاق والتعطيل ، وقديما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت هذه المادة هى الحائل بين الوزارات واغلاق الصحف بالاوامر الادارية ... » .

ثم يؤكد العقاد على عدم جدوى هذه الاجراءات الارهابية أمام نضال الشعب :

« فماذا استفادت الوزارة من تعطيل الصحافة ؟ وماذا تدارى ؟ وماذا تفيدها المداراة ؟ أفتخشى الوزارة مما نكتب ؟ اذاً لتعلم أننا نسمع بآذاننا فى حق الوزارة أضعاف ما نكتبه فى أشد حملات الطعن والانتقاد ، ولتعلم ان ما نقوله نحن للناس هين جدا ، بلّ هو أهون شىء الى جانب ما نسمعه من الناس كلما أصغينا السماع » .

« ويا ما أحلاكم وأملحكم يا معشر هؤلاء الوزراء ؟ افكنتم تحسبون ان الناس كانوا يظنونكم حماة الدستور لو لم نكتب لهم نحن أنكم معطلو الدستور ؟ أفكنتم تتخيلون أن الناس يشهدون لكم بالقومية الخالصة لو لم نقل لهم أنكم حزبيون أشد من جميع الحزبيين ؟ أفكنتم تتوهمون ان كلامكم جائز فى العقول لولا اننا نزيفه ونظهر ما فيه من النقائض والاعاجيب ؟ افكنتم تترقبون ان يشغف الناس بكم حبا ويتهالكوا عليكم ثقة لولا أننا نقول انكم لا تحبون وانكم بالثقة غير جديرين ؟ » .

« عطلوا الصحف أو لا تعطلوها ، أن الحق لظاهر ، واننا لن نكتب الا لنقول الحق ساطعا قويا ، لا تلعثم فيه ولا مواربة ، وأنكم لمعروفون فى هذه الامة فما بها من حاجة الينا لنزيدها بكم تعريفا على تعريف » .

ولا يكتفى العقاد بفضح موقف الرجعية المصرية سنة ١٩٣٠ من حرية الصحافة ، بل يكشف عن مساندة الصحافة الرجعية فى العالم لحكومة صدقى ، فيكتب فى مقال له بعنوان « من أنصارهم تعرفونهم » ـ المؤيد الجديد ٢٧ أغسطس سنة ١٩٣٠ ليقول « أن الرجعيين من أنصار صدقى ، يغتبطون بثناء الصحف الاجنبية عليهم » . « وزعيمة الصحف التى يغتبطون بثنائها ، ويرحبون بمقالاتها ، ويفرحون بطعنها فى الوفديين هى « المورنتج بوست » التى تستكثر الحرية على انجلترا نفسها وتعبر عن آراء أناس من المعاتيه ، يقولون : ان الديموقراطية دسيسة يهودية دبّرها اليهود فى جماعات الماسون السرية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لينتقموا من الكنيسة ، ويضعفوا المسيحية ، ويحبون لو استطاعوا ان يختزلوا البرلمان الانجليزى ، فلا يبقى فيه الا مجلس اللوردات ، منتخبا او معينا على النظام العتيق ، الذى لا يؤمن بالديموقراطية ، ولا يصغى الى شىء اسمه حقوق الشعوب » .

لقد عنى العقاد بشرح موقف الرجعيين المصريين سنة ١٩٣٠ من الصحافة الوطنية فى مصر ، وهاجم هذا الموقف ونددبه ، ولكى نتصور أهمية هذه القضية ، وما كانت الصحافة الوطنية تعانيه فى تلك الفترة العصيبة من تاريخ مصر الحديث ، فى ظل ديكتاتورية الملك فؤاد ، وإرهاب اسماعيل صدقى ، يمكننا أن نقرأ بعض الفقرات من مقال لسلامه موسى نشرته « المؤيد الجديد » التى كان العقاد يشن فيها حملته على الرجعية والرجعيين .... ففى العدد ١٩ من « المؤيد الجديد » ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٠ والى جوار مقال العقاد الافتتاحى فى نفس الصفحة ، نشرت الجريدة مقالا لسلامه موسى بعنوان « فوز الصحافة السورية وهزيمة الصحافة المصرية » ، ووجود العقاد فى تلك الفترة الى جانب سلامة موسى ، الكاتب التقدمى الثورى ، له دلالة ومعنى كبير ، فقد كان العقاد فى سنة ١٩٣٠ يقف فى قلب المعسكر الوطنى ، بل كان من قادة هذا المعسكر ، وكان وجوده جنبا الى جنب مع سلامة موسى شيئا طبيعيا فى تلك المرحلة ، حيث أن الكاتبين الكبيرين قد افترقا بعد ذلك أشد الافتراق ، فترك العقاد مكانه فى قيادة التيار الوطنى الثائر ، وبقى سلامة موسى فى هذا المعسكر ، وحرص على مكانه حتى النهاية .

فى مقال سلامة موسى عن الصحافة السورية والصحافة المصرية ، كشف لدور بعض الصحفيين الشوام الذين جاءوا الى مصر ، وارتبط بعضهم بالقصر والاستعمار الانجليزى ، وخاصة « مدرسة صحيفة المقطم » ، وفى سنة ١٩٣٠ بالذات كانت هذه الصحف تدافع عن « صدقى » وتناصره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بينما كانت الصحف الوطنية كلها تتلقى من صدقى أعنف الضربات بالاغلاق والمصادرة ، وقد كشف سلامة موسى فى مقاله هذه الحقائق بقوة ، وان كان المقال لم يخل من نزعة سلامة موسى « الاقليمية » المتعصبة الخاطئة ، والتى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت ظاهرة فى بعض جوانب فكره ، وحاول فى آخر حياته الفكرية الخصبة أن يعدلها ويتخلص منها .

يقول سلامة موسى فى مقاله :

« الصحافة تجارة مثل أى التجارات ، ولكن قيودها أثقل من سائر التجارات . والصحفى المصرى يحمل هذه القيود راضيا ، وينزل على شروطها صاغرا ، لانه يراها تتفق ومصلحة وطنه التى هى اكبر من مصلحته ، ولكن الصحفى السورى لا يبالى بهذه القيود ، فهو ينشد من هذه التجارة الربح والربح فقط » .

« لهذا السبب مضى علينا عشرون سنة والجرائد المصرية تعطل ، بينما الجرائد السورية لا تعطل ... والصحفى السورى لا تتعرض جريدته للتعطيل ، لانه يسير مع كل حزب ، ويمشى وراء الغالب ، وهو لا يشعر بالعار ، يلحق بالانسان اذا استبدل بآرائه وخططه السياسية خططا وآراء أخرى كما يستبدل الانسان حذاءه » .

ويقدم سلامة موسى فى هذا المقال نموذجا للصحفى السورى الذى يرفضه فيقول :

« بينما نرى الصحف المصرية معطلة ، والاقلام المصرية مقصوفة ، نرى المجلات السورية تنساب بين العامة ، كأنها الحيات السامة ، تشرح لهم كيف أن « الاستاذ » حافظ نجيب كان ينصب على الناس ، وكيف أن بطلا من أبطال الاوباش كان يأكل حذاء كاملا . وكيف استطاع شحاذ أن يشترى بالشحاذة عقارا ضخما ، وكيف يدخن الحشيش وأين ، ..الخ . ويكتب هذا فى مجلات انيقة الطبع ، تستهوى العين بالصور الجميلة ، وبالطبع الحسن ، فيقراها الشاب المصرى فيضعف عقله ، ويختل نظره للاشياء ، حتى ليظن العبقرية فى النصب والشحاذة والسخافة » .

« ولنضرب مثلا على الصحفى السورى فى مصر ، بهذا « الاستاذ » كريم ثابت ، ليرى القارىء كيف جعل السوريون الصحافة المصرية هذرا وهذيانا ، يجمعون منها قروش العامة ويثرون منها ، بينما عبد القادر حمزه ، وعباس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقاد ، وحافظ عوض ، وتوفيق دياب ، وأبو طايلة ، وأحمد حلمى ، وغيرهم تقصف أقلامهم وتخرب بيوتهم » .

« هذا « الاستاذ » كريم ثابت ، يكتب فى مجلات الهلال قصصا ، يتكرر بعضها عشر مرات أحيانا ، عن فتح الله باشا بركات ، الذى يختلف عن سائر الناس أجمع ، من حيث انه لا يأكل المدمس ، وانما هو يغمس اللقمة فى مرق المدمس فقط ، ويذكر الامير فاروق فيقول عنه : « أنه لا يخاطب جلالة والده أو والدته بقوله « يا صاحب الجلالة » أو « ياصاحبة الجلالة » وانما يقول كما يقول سائر الاطفال فى العالم : « يا بابا » و « يا ماما » ثم يذكر الامير عمر طوسون فيقول عنه : « انه يدخن الشيشة قبل الظهر ، ويدخنها أحيانا بعد الظهر . وأحيانا لا يدخنها قبل الظهر أو بعد الظهر ، ثم هو ، أى الامير ، يأكل فى الغداء اكثر من العشاء ، وأحيانا يأكل فى العشاء اكثر من الغداء ، ثم يقول ان الاستاذ لطفى السيد تقابل مع على الشمسى باشا فبدلا من أن يبدأ التحية على باشا بدأها الاستاذ لطفى السيد » .

ثم يقول سلامة موسى :

« هذا هو الكاتب المثالى السورى ، الذى يكتب للعامة هذا الهذر ، ليضعف عقولهم ، بينما كتابنا المخلصون قد قصفت أقلامهم ، وبعضهم يبحث عن عمل آخر غير الصحافة ، يمكنه ان يعيش منه دون أن يتعرض للجوع » .

ويقول سلامة موسى بعد ذلك :

« لقد تم اقفال ثلاثة مصانع مصرية ... هذه المصانع المصرية هى : ١ ـ البلاغ لصاحبه المصرى عبد القادر حمزة . ٢ ـ الكوكب لصاحبه المصرى أحمد حافظ عوض ٣ ـ اليوم لصاحبه المصرى توفيق دياب » .

ويتحدث سلامة موسى عن « الاهرام » وموقفها من القضايا الوطنية آنذاك فيقول :

« هذا هو الاهرام ، الجريدة السورية التى تسير مع كل حزب ، وتجرى مع كل ريح ، وتضحك منا جميعا » . تلك هى الصورة التى رسمها سلامة موسى لواقع الصحافة الرجعية فى مصر سنة ١٩٣٠ ... واذا استثنينا ما فى المقال من لهجة « اقليمية » متعصبة ، وجدنا ان المقال يقدم صورة حقيقية لمحنة الصحافة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوطنية ، فى ظل حكومة صدقى الرجعية ، بل فى ظل الرجعية المصرية بشكل عام ، فالرجعية المصرية قد وقفت بكل قوة لمساندة تلك الصحافة التى لا تعالج أى مشكلة جدية من مشاكل الوطن أو الشعب ، بينما تلقى الصحافة الوطنية الوانا متصلة من الاضطهاد والارهاب . والحقيقة ان كريم ثابت وغيره من الصحفيين ، كانوا رجعيين فى مصر وفى سوريا على السواء ... ولم تكن المشكلة هى انهم سوريون فى مصر ، كما يرى سلامة موسى بل هى انهم رجعيون متحالفون مع الرجعية وخدام لها ، سواء كانت هذه الرجعية مصرية أو سورية .

نعود بعد ذلك الى حملة العقاد على الرجعية المصرية سنة ١٩٣٠ . يركز العقاد على ظاهرة أخرى من مظاهر السياسة الرجعية فى مصر سنة ١٩٣٠ ، غير ظاهرة اضطهاد الصحافة ، هذه الظاهرة هى محاربة استقلال القضاء ، فيكتب مقالا بعنوان « يطلبون استقلال القضاء من وزير الحقانية » « المؤيد الجديد ٢٩ أغسطس ١٩٣٠ » يعلق فيه على مقال نشره محمد علام باشا فى الاهرام ، يطالب فيه على ماهر « وزير الحقانية » فى وزارة صدقى بالحرص على استقلال القضاء ... يقول العقاد فى هذا المقال :

« ... لم يرد علام باشا هذا ان يكون مضحكا ، ولكنه أضحك من قرأه فعلا ، لانه يلتمس استقلال القضاء ، من الوزارة التى وقع فى زمنها أخطر حادث أصاب القضاء المصرى فى الزمن الحديث : وقع فى زمانها ان يؤمر القاضى علانية بأن لا يحكم الا بما تفرضه عليه الوزارة ، ويوافق أهواء ملاحظى البوليس ورجال الادارة . ولا نعرف لوزارة من الوزارات سيئة هى أجسم وأهول من هذه السيئة ، التى زلزلت قواعد العدل ، وأصابت القضية المصرية فى المقتل الصميم . نعم أصابت القضية المصرية فى المقتل ، لانها مثلت القضاء المصرى فى أعين الاوربيين تمثيلا يعطيهم الحجة اذا رفضوا الثقة به والاحتكام اليه ، وتشبثوا بالامتيازات الاجنبية التى جاهدت الامة فى اصلاح شأنها ، ذلك الجهاد الطويل » .

على أن القضية الجوهرية التى شن العقاد بسببها حملة عنيفة على الرجعية المصرية ، هى نقطة الاعتداء على دستور ١٩٢٣ ، والاتجاه الى تغيير هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدستور ، واصدار دستور جديد يساند ديكتاتورية الملك فؤاد ، ويبرر ارهاب اسماعيل صدقى .

يكتب العقاد فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٠ فى جريدة « المؤيد الجديد » مقالا بعنوان « مسألة الدستور مسألة كل انسان فى مصر » يقول فيه :

« ويل لمن يجهلون ان مسألة الدستور هى مسألة كل مصرى : مسألة القاضى والتاجر والزارع والمقرب وغير المقـرب ، لا مسألة النـائب والوزير والمشتغـل بالسياسة دون سواه » .

« لقد كان لكل أزمة درسها البليغ ، ودرس هذه الازمة البليغ ان يعلم الناس كيف يكون المصير ، اذا بطل فى مصر حكم الدستور ، وويل لمن يجهل أن مسألة الدستور هى مسألة الحرية والحياة » .

وفى هذا المقال نفسه يقول :

« أن الاستبداد لا يقف عند حد ، ولا يعرف القيـود والمحرمـات ، فاذا طمـع اليوم فى شىء فسيطمع غدا فيما هو أكثر منه ، واذا قلت اليوم انك ترضيه بالطاعة فى هذا وذاك من الامور ، فلن تنقضى عليك أيام حتى تعلم ان الطاعة فى هذا وذاك من الامور لا ترضيه ولا تكفيه ، وأنه ينتظر منك المزيد بعد المزيد ، حتى لا تعلم الفارق بين الرضى والغضب » .

« ماذا يحميك من المستبد اذا لم يحمك الدستور ؟ أيحميك القانون ؟ ايحميك القضاء ؟ ان ارادة المستبدين هى القانون ، وأن وظيفة القضاء فى رأيهم هى تنفيذ ما يريدون . لقد رأينا كيف يعزل القاضى لانه حكم بغير ما يرضاه الوزير ، رأينا كيف ينصون فى أمر العزل على هذا السبب ، ولا يكلفون أنفسهم أن يلطفوا أو يسكتوا عنه ويتركوا للناس ان يفهموا منه ما يشاؤون » .

ثم يعلق على هذا الحادث فيقول :

« انه لاكبر من حل البرلمان والمساس بالحياة النيابية ، لان الامة قد تعيش زمنا بغير برلمان ولكنها لن تعيش زمنا بغير استقلال القضاء . أنه لاكبر من كل حادث فى ذاكرة المعاصرين ، لانـه ضربـة هادمـة فى اساس كـل حريـة وكل ضمان » .

والعقاد يرد مثل هذه الاجراءات كلها الى الاتجاه لدى حكومة صدقى الرجعية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للاعتداء على الدستور ... فالدستور هو الضمان الاساسى للوطن والمواطنين ، ويواصل العقاد حملته العنيفة على اسماعيل صدقى وعلى الرجعية والرجعيين فى سنة ١٩٣٠ ... ويقول العقاد فى مقال بعنوان « الرجعية هى العدو الاكبر فى الازمة الدستورية الحاضرة » ـ المؤيد الجديد فى ٢٤ سبتمبر ١٩٣٠ .

« ... هناك حقاق كثيرة ستنكشف فى أوانها ، فيعلم المصريون جميعا ان مصيبة الرجعية على هذا البلد أكبر من مصيبة الاحتلال ، وانها هى التى مهدت له ، واستعانت به ، وأوقعت البلد فى البلاء الذى أدى اليه . لولا كراهة الدستور القديمة فى نفوس هؤلاء الرجعيين ، ولولا التكبر عن الاعتراف للفلاحين العبيد بالحرية والحكومة العصرية ، لما حدثت فى مصر تلك الاحداث التى نعانى من جرائرها الى اليوم ، فالرجعية هى السوس الناخر فى ابدان هذه الامة من قديم الزمان ، والرجعية هى أصل المصاب وسبب الاحتلال ، وهى العدو الاكبر الذى يجب أن يبرز على حقيقته ليكون الجميع على بينة من أمره . وكذب من قال : ان مصيبة الرجعية فى هذا البلد اهون من مصيبة الاحتلال ، فان الذين يتتبعون التاريخ ليعلمون علم اليقين ، أنه لولا الرجعية وكراهة « الفلاحين » ، لما كان الاحتلال ولا حدث شىء مما أوقع البلاد فيه » .

ويتحدث العقاد فى مقال آخر عن هؤلاء الرجعيين بأسمائهم ، فيقول عنهم فى مقال عنوانه « حزب طلاب المصالح لا حزب اصحاب المصالح » ـ المؤيد الجديد فى أول أكتوبر ١٩٣٠ :

« انما هؤلاء عصابة يطلبون الحكم ، لانهم يطلبون المصالح لا أكثر ولا أقل ، فعبد الجليل سمرة وأحمد عبد الغفار وجماعة محفوظ وجماعة خشبة وجماعة محمود سليمان لا يصبرون عن الحكم ، لانه حاجة من الحاجات وضرورة من الضرورات » . ثم يقول عنهم : « من منهم يعد من ضحايا الحركة الوطنية أو من الواقفين فى صف الضعف والاضطهاد أمام القوة الفعلية ؟ أن أكثرهم جلافة تشبه الصلابة هو العتل محمد محمود سليمان . فهل يذكر هذا العتل لنفسه أو يذكر له غيره موقفا واحدا يدل على نخوة أو تضحية بمصلحة ؟»

ثم يتجه العقاد بين الحين والحين ، للهجوم الحاد العنيف على رأس هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العصابة الرجعية « أسماعيل صدقى » فيكتب عنه فى مقال بعنوان « فارغ بحمد الله » ـ المؤيد الجديد ١٧ سبتمبر ١٩٣٠ :

كانت الوزارة قدراً ساقه الله الى صاحب الكفاءات ليظهره على حقيقته فارغًا ، لا نصيب له مما يدعيه ، أو هو كما يقول الجاحظ يدعى من كل شىء بقدر جهله فقد كان صاحب الدولة يدعى الذكاء فظهر للناس ان مبلغ ما عنده من الذكاء هو سياسة « نيميها » التى عرف بها الحكام الاتراك فى عهد الظلمات ! اضرب . اسجن ـ اقتل . امنع . اقفل .. ثم لا شىء بعد ذلك من دلائل الذكاء والعلم والاقتدار . وما كان التعايشى بعاجز عن مثل هذه السياسة ولا فى الارض من يعجز عنها الا أهل المروءة والشمم والذكاء .. وتكلم صاحب الكفاءات ليقول ما يقوله الاذكياء فاذا هو لا يخرج من ورطة حتى يقع فى ورطة ولا ينتهى من سخافة الا ليبتدىء فى سخافة .. ومن أراد أن يعرف الخيبة التى خابها صاحب الكفاءات فى أحاديثه الكثيرة ، فليجمعها كلها وليسأل نفسه : أى كلمة يعز منها على أجهل الجهلاء ان يقولها . أما أن كان المقصود بالذكاء ما يسهل البيوع والمكاسب والمكافآت ، ففى القطر ألوف السماسرة ، يوقعون أصعب الصفقات ، ولا يقول أحد أنهم يعدون فى الاذكياء ، فى معنى من معانى الذكاء الدفينة ، فضلا عن ان يكون من نوابغ الاذكياء » .

وفى هذه الفترة التى كان فيها العقاد يشن حملته العنيفة على الرجعية تحل ذكرى ١٤ سبتمبر .. ذكرى دخول الانجليز مصر ، فيكتب العقاد مقالا بعنوان « ذكرى ١٤ سبتمبر » يرد فيه على ما يقوله الكتاب الرجعيون وبعض أنصار الحزب الوطنى من الهجوم على أحمد عرابى وأتهامه فى وطنيته ، فيدافع العقاد عن عرابى دفاعا مجيدا ، ويضعه فى مكانه الصحيح من الحركة الوطنية فى مصر ، وكأنه فى هذه الفترة التى كان يهاجم فيها الرجعية والرجعيين ، أنما كان فى نفس الوقت يستمد الحماسة والحرارة من « استحضار » روح الزعماء الوطنيين الكبار ، حتى يكونوا له عونا فى معركته من أجل الحرية ، وحتى يساهموا فى أشعال نيران الثورة لدى الشعب فى نضاله الطويل .

يبدأ العقاد فى هذا المقال بتسجيل حقيقة واضحة فى الحركة الفكرية المصرية حتى ذلك الحين ، « المؤيد الجديد فى ١٦ سبتمبر ١٩٣٠ » يقول العقاد :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« على كثرة الذين كتبوا ويكتبون عن ذكرى ١٤ سبتمبر ، أو ذكرى الاحتلال البريطانى للبلاد المصرية ـ لا نجد الا قليلا من الكتاب انصفوا الذكرى وعرفوا عبرتها حق عرفانها . لان أكثرهم يستمدون علمهم أو شعورهم من أكذوبة قديمة ، عاشت فى هذا البلد خمسين سنة لم يتعرض أحد لتصحيحها ، واعادة النظر فيها الا ما ندر ، وتلك الاكذوبة هى أن البطل المصرى الكبير أحمد عرابى كان خائنا لوطنه ، مأجورا للانجليز على أن يقوم بالثورة ، ويمهد لهم سبيل الاحتلال وأنه هو المسئول وحده عما حدث كله وليس هناك تبعة على أحد سواه » .

« كل هذا خطأ شنيع ، بل كذب سافل ، روجّه اصحاب التبعية الكبرى ليمسحوا جرائمهم فى سمعة عرابى واخوانه ، ويبرئوا أنفسهم بنسبة أوزارهم الى غيرهم ، فكل ما يبنى أذن على هذا الكذب لا يصلح أن يكون عبرة تاريخية صادقة ، ولا أن نتعظ به أتعاظا صحيحا ، فى فهم الحوادث والرجوع بها الى منشئها » .

وهكذا يكشف العقاد عن دور « الرجعية » فى تشويه التاريخ الوطنى .. وهو يرد على هذا التشويه ، ويناقش التهم التى وجهتها الرجعية الى عرابى فيقول :

« الذين وصفوا عرابى بالخيانة ، قد فعلوا ذلك وهم فى مأمن من التكذيب والمناقشة لانهم علموا ان الرجل وأصحابه مغيبون فى منفاهم ، لا يملكون وسائل الدفاع عن أنفسهم ، ولا بيان الحقيقة لمن يجهلونها ، ثم علموا أن الميدان فى هذا البلد خال لهم يستولون على آذان الجيل الناشىء فيفرغون فيها ما عنّ لهم من التهم والاباطيل ... علموا ذلك فلوثوا سمعة الرجل وأصحابه أقبح تلويث ، وعكسوا الحقائق وأسندوا إليه ما اقترفوه بأيديهم » .

وبعد أن يؤكد العقاد أن الرجعية هى السبب الحقيقى للاحتلال ، وأن الرجعية هى التى تآمرت مع الانجليز وليس أحمد عرابى يبدأ فى الرد على التهم الموجهة الى عرابى فيقول :

« فمن الاكاذيب التى خدعوا بها الجهلاء ، أن الانجليز قد حالوا بين عرابى وبين الاعدام ، وتوسطوا فى نفيه هو وأصحابه الى سيلان ، بعد اصرار الخديوى توفيق على قتلهم أجمعين » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالوا فهذا دليل على أن الرجل وأصحابه كانوا متواطئين مع الانجليز على تسليمهم البلاد ، وإلا فلا يفهم أحد كيف يحارب الانجليز عرابى ويغلبونه ويتمكنون منه ، ثم يتوسطون فى العفو عنه ، ويحولون بينه وبين الاعدام ، وقد لقيت هذه الحجة قبولا عند الجهلاء وكانت هى أساس ما شاع من الاكاذيب ، وكل ما تلبد حول اسم الرجل من التهم والوشايات ، وما هى كما ترى الا سخافة لا ينخدع بها رجل يعرف حقيقة الاحوال التى أحاطت بالاحتلال البريطانى ، فى بلاد الانجليز وفى هذه البلاد » .

« فالانجليز ما كانوا مستطيعين من جهة أن يحملوا على عاتقهم جريرة اعدام عرابى وأصحابه ، وهم ـ أى « الانجليز » ـ كانوا أكبر المشهرين بفضائح الحكم الذى ثار عليه العرابيون وضاقوا ذرعا باحتماله ، فقد سوغ الانجليز احتلال مصر باختلال الحكومة المصرية ، والشقاء الذى كان المصريون يعانونه على أيديها ، وتفاقم الفساد الذى أضر بمصالح الوطنيين وأصحاب الديون على السواء ، فمن أبعد الامور عن المعقول أن يقبل الانجليز على سمعتهم فى العالم المتحضر أن يقتلوا أناسا لا ذنب لهم الا الثورة على مفسدة هم أول المعترفين بها ، والمقرين بصعوبة احتمالها ، وتلك سبة يعلم الذين يتتبعون التاريخ الانجليزى الحديث ، أن القوم لا يستسهلون حملها ، ولا يودون ان تنسب اليهم ، وفى وسعهم دفعها بذريعة من الذرائع » .

« هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، يجب أن نذكر فى أى عصر حدثت الثورة العرابية ، لنذكر كيف عوقب عرابى بالنفى دون الاعدام ، فلقد وقعت تلك الثورة فى أبان العصر الذى سادت فيه مبادىء الثورة الفرنسية بلاد الانجليز ، وانتشرت بينهم قواعد الحرية الحديثة ، وآراء الفلاسفة المبشرين بمذاهب الديموقراطية ، وفى تلك الفترة اجترف نفوذ الاحرار كل نفوذ المحافظين وأنصار المذاهب العتيقة .. ففى عصر كذلك العصر ، ما كان بالمعقول أن توافق الحكومة البريطانية على إعدام أناس يطلبون الحرية ، ويدعون الى الديموقراطية ، ولهذا حال الانجليز بين البطل المصرى والاعدام ، وصانوا سمعتهم التاريخية من تبعة قتله فى مثل تلك الظروف ، لهذا حالوا بينه وبين الاعدام ، لا لانهم استأجروه ، ولا لانهم تواطأوا معه فى خيانة البلاد » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم يتحدث العقاد بعد ذلك عن الثمن الذى تقاضاه عرابى عن « خيانته » كما يقول أعداء الحركة الوطنية فى مصر ، من الرجعيين وأنصارهم :

« ... ثم أين هى الاموال التى استؤجر بها عرابى ، وباع بها وطنه كما افترى المنافقون ؟ لقد كانت مصر كلها فى قبضة ذلك الرجل ، فما أقتنى شيئا ولا جمع مالا ، ولا ترك لا بنائه من بعده كثيرا ولا قليلا ، وأن رجلا كهذا لا شرف من ان يتهم بتلك الخيانة القبيحة ، بل هو أشرف الف مرة من أولئك اللصوص الذين لا تنبسط يدهم الا جمعوا الملايين من السحت والسرقة والاغتصاب » .

ثم يقول العقاد عن عرابى :

« لا . لم يكن عرابى خائنا ولا متواطئا مع الانجليز ، ولكنه كان رجلا مخلصا خذلته الحوادث ، وانقلبت عليه المآرب السياسية والدسائس الاجنبية ، ففشل فى حركته فشلا لا حيلة له فيه ، وهو ناقم من حكم لا يملك الا النقمة عليه ، وماض فى طريق لا يملك الا المضى فيه ، ومن آيات اخلاصه انه كان يقبض على زمام الجيش والامة وكان يستطيع ان ينكل بخصومه تنكيلا لا تنفعهم معه دسائس المستعمرين ، فما صنع شيئا من ذلك ، بل رضى ان يظل مستهدفا للمؤامرات الحقيرة مرة بعد مرة ، دون ان تمتد يده الى جرثومة المتآمرين » .

ثم ينتهى العقاد من دفاعه الصادق عن عرابى ضد الرجعيين ، بالتأكيد على ان الرجعية هى مصيبة البلاد الكبرى ومصدر الشر والتأخر فيها ..

يقول العقاد :

« فاذا شئنا ان نعتبر باليوم الرابع عشر من شهر سبتمبر ، فلنعتبر به على أساس واحد ، وهو أن المصيبة الكبرى كلها أنما جاءت من التشبث بأساليب الحكم العتيقة ، وتصلت الاغبياء من الشراكسة ونفايات الامم على المصريين ، فى العصر الذى بزغت فيه القومية المصرية ، وتحركت فيه دوافع الحرية والاستقلال » .

« بهذا فلنعتبر كل الاعتبار ولننس كل النسيان ما قيل عن خيانة عرابى ، وما شاع حول ذلك من الاكاذيب والاراجيف ، فما من عبرة تبنى على هذا الاساس الا وهى عبرة خاطئة لا تفيد » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا شن العقاد حملته العنيفة على الرجعية خلال سنة ١٩٣٠ فى المجالات الاقتصادية والسياسية والقضائية ، بل فى المجال الفكرى والتاريخى حيث أرادت الرجعية أن تشوه تاريخ مصر الوطنى وتقدم له صورة غير حقيقية ، وأن تتهم الزعماء الوطنيين مثل عرابى بتهمة زائفة حتى يبدو وجه التاريخ وجها مشوها لا الهام فيه للاجيال الجديدة من المناضلين الوطنيين .

وكانت ضربة العقاد الاخيرة هى الربط بين الحركة الرجعية فى مصر وبين الانجليز ، حيث كتب فى مقال له بعنوان « الرجعيون والانجليز المحليون » يقول فيه « المؤيد الجديد ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٠ » : « فى الخطاب المفصل الذى أرسله الينا صديقنا « ص » بيان واف للرأى القائل بأن الازمة الحاضرة فى مصر هى أزمة الرجعية قبل غيرها ، وأن الانجليز لم يخلقوا الازمة ، وانما حاولوا - ويحاولون - أن يستفيدوا منها بعد خلقها ، وهذا الرأى هو رأينا الذى لا تزيدنا الحوادث الا اقتناعا به ووثوقا منه . ولا يدعونا الى تقريره وتوكيده الا أن يعرف المصريون الحالة على حقيقتها ، ويعلموا أصول الدسيسة من أين تنجم والى أى غاية تسعى . وفرق بين أن نقول ان فلانا قتل القتيل ليغتصب تركته ، وبين أن نقول ان فلانا رأى الورثة يتنازعون على تركة القتيل فأراد أن يستغل النزاع بينهم فيما يفيده ، فالانجليز لم يقتلوا القتيل فى هذه الازمة ، ولكنهم تركوا الرجعية تغمد خنجرها ولم يمنعوها أن تقتل ، ولو أنهم منعوها فى بادىء الامر لا ستطاعوا أن يجدوا الحجة لمنعها فتمتنع لا محالة . ولكنهم لم يجدوا لهم مصلحة فى ذلك فلم يفعلوه » .

ثم يقول العقاد عن الرجعية :

« فالرجعية آثمة مصرة على إثمها ، ماضية فيه من زمن بعيد ، لا يثنيها عنه شقاء هذه الازمة ولا ماتبتلى به من الفاقة والشدة والخراب ، بل هى تنتهز هذه الفرصة لتضرب ضربتها ، فتزيد الامة فاقة على فاقة وشدة على شدة وخرابا على خراب » .

ثم يقول :

« فالرجعية تعتمد على تبادل المنفعة بينها وبين أعوانها الانجليز المحليين » .

هكذا كان موقف العقاد سنة ١٩٣٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان موقفا وطنيا صادقا كل الصدق ، واضحا كل الوضوح . كان العدو أمامه محددا كل التحديد ، وهو الرجعية والرجعيون ، ولم تكن الرجعية ولا الرجعيون كلمات غامضة غير واضحة فى ذهنه ، بل كانت الرجعية تتمثل فيما يلى :

اولا ـ العداء لطبقات الشعب الفقيرة من العمال والفلاحين وغيرهم ، والعمل على الاضرار بالمصالح الاقتصادية لهذه الطبقات .

ثانيا ـ محاولة الاعتداء على استقلال القضاء ، لتسهيل الاجراءات الارهابية ضد المواطنين ولتسهيل العبث بالدستور .

ثالثا ـ التحالف مع الانجليز لتحقيق المصالح المشتركة بين الرجعية المصرية والانجليز ضد مصالح الشعب فى مصر .

رابعا ـ محاولة تشويه تاريخ مصر وتاريخ الزعماء الوطنيين من أمثال عرابى حتى لا يكون أمام الحركة الوطنية فى مصر نموذج أو مثال أو مصدر للالهام .

خامسا ـ شدد العقاد فى حربه ضد الرجعية على أهمية حرية الصحافة ، التى كانت ميدانا للارهاب والاضطهاد من جانب اسماعيل صدقى ، حتى لا تتمكن الحركة الوطنية من التعبير عن نفسها ، مع تشجيع لون من الصحافة التى لا تعبر عن مشاعر الشعب ومشاكله ، وانما تحاول اغراقه فى التفاهات وألوان الاثارة المختلفة .

سادسا ـ كان الميدان الاساسى لمعركة الرجعية ضد الحركة الوطنية فى مصر هو ميدان « الدستور » ، وكانت الحركة الوطنية تتمسك بدستور ١٩٢٣ بينما كانت الرجعية تهدف الى تغيير هذا الدستور ، وقد نجحت فى ذلك بالفعل ، فألغى اسماعيل صدقى الدستور ، وأصدر دستورا جديدا يمنح الملك سلطات واسعة ، ويضيق الخناق على الشعب .

كان هذا هو المعنى الذى يقصده العقاد بالرجعية ، وكان معنى واضحا فى ذهنه كل الوضوح وقد تميزت كتابات العقاد فى تلك الفترة بالجاذبية والجمال والحرارة وقوة التعبير والقدرة على التأثير الواسع على وجدان الجماهير ... كل هذه العوامل دفعت الرجعية الى التربص بالعقاد وتمت بالفعل احالته الى التحقيق فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ واستمر التحقيق معه فترة طويلة ثم قدمته القوى الرجعية للمحاكمة ، حيث دافع عنه محام وسياسى وطنى بارز فى ذلك الحين هو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكرم عبيد ، كما كانت هذه المحاكمة موضعا لاهتمام واسع من الرأى العام ، فقد رأت الجماهير الشعبية الكبيرة كاتبها الثائر عباس العقاد يقف فى قفص الاتهام عرضه لانتقام الملك فؤاد ، وانتقام الرجعية المصرية . ولقد استندت الرجعية فى محاكمة العقاد ، الى مقالاته العنيفة التى كتبها خلال سنة ١٩٣٠ والتى عرضنا لها فى هذا الفصل .

فماذا كانت قصة المحاكمة والسجن ؟.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحاكمة والسجن

كان من الطبيعى ان يتربص الملك فـؤاد بعباس العقـاد بعد مـوقفه من البرلمان ، وبعد تهديده لاكبر رأس فى البلاد بعقاب الامة اذا خان الدستور ، والمعروف ان الملك فؤاد كان يكره رجال القلم الاحرار من الكتاب والفنانين ، فهو الذى أمر بنفى الشاعر الشعبى الكبير بيرم التـونسى ، عندمـا سمع له قصائده الوطنية وكان بعضها هجاء للملك فؤاد نفسه ولاسرته ، وخرج بيرم التونسى العظيم من مصر منفيا ومطرودا ومغلوبا على أمره ، ليتشرد فى باريس سنوات طويلة ، عانى فيها الكثير من الوان الضياع والجوع والبؤس ، وقيل ـ وإن يثبت هذا القول تاريخيا ـ ان الملك فؤاد هو الذى تخلص من الكاتب اللامع الحر محمد تيمور ، الذى مات فجأة فى شبابه الاول ، وكان يملأ الدنيا بكتاباته الحرة الجريئة المستنيرة . ولقد قيل ان الملك فؤاد قتل هذا الشاب الموهوب المتحرر بالسم ، وسواء صحت هذه الرواية او لم تصح فهى تدل ولا شك على سمعة الملك فؤاد ، وما عرف عنه من كراهية للفكر الحر المستنير .

كان من الطبيعى ألا يفلت العقاد من ارهاب الملك فؤاد ، ولم يستطع الملك ان يحاكم العقاد بسبب صرخته فى البرلمان عن سحق أكبر رأس فى البلاد يخون الدستور . لان العقاد كان يتمتع بالحصانة البرلـمانية التى تمنـع مثل هـذه المـحاكمة . وجاءت فرصة تقديم العقاد للمحاكمة بعد شهور قليلة ، وبعد ان شن العقاد حملته العنيفة ضد الرجعية والرجعيين ، بالصورة التى عرضنا لها فى الفصل السابق .

وفى ١٢ اكتوبر سنة ١٩٣٠ قدمت النيابة العقاد للتحقيق ، ومن يومها دخل السجن حتى تمت محاكمته فى ديسمبر ١٩٣٠ ، وانتهت المحاكمة بالحكم على العقاد بالسجن تسعة شهور ، قضاها كاملة وخرج بعدها فى ٨ يـوليو سنـة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩٣١ ، ليواصل من جديد كفاحه ضد الرجعية والرجعيين ، منذ اليوم الاول لخروجه من السجن ، وقد ظل العقاد ملتزما بموقفه الصلب على هذه الصورة ، حتى اصطدم بالوفد سنة ١٩٣٥ .

أحيلت قضية العقاد بعد التحقيق معه الى محكمة الجنايات ، وكان المتهم الاول فى هذه القضية هو محمد فهمى الخضرى ، صاحب جريدة المؤيد الجديد ، وكان المتهم الثانى هو عباس العقاد ، وكانت الصيغة القانونية للاتهام كالآتى :

« أن المتهم الاول محمد فهمى الخضرى بصفته مديرا لجريدة المؤيد الجديد عاب علنا فى الذات الملكية بأن نشر مقالات فى الاعداد ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٦ الصادرة فى ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، و٢١ ، ٢٤ سبتمبر ١٩٣٠ تشتمل على عبارات العيب ، وان الثانى ـ عباس العقاد ـ بصفته شريكا للاول فى الجريمة المتقدمة ، اتفق معه على ارتكابها ، وساعده مع علمه بها على الاعمال المسهلة والمتممة لها ، بأن حرر المقالات الواردة فى الاعداد المتقدمة ، وسلمها اليه فنشرها ، وقد وقعت الجريمة فعلا بناء على ذلك الاتفاق والمساعدة » . بهذه الصيغة القانونية وجهت محكمة الجنايات التهمة الى العقاد ، وكانت المحكمة مشكلة من المستشارين ، عبد العظيم راشد باشا رئيسا وعبد الباقى القشيرى بك ومصطفى حنفى بك عضوين ، أما ممثل النيابة فكان محمود منصور بك رئيس نيابة مصر الاهلية .

وكان محامى العقاد هو مكرم عبيد سكرتير حزب الوفد ، والسياسى البارز الموهوب ، والمحامى اللامع فى ذلك الحين ، وقد اخذت المحاكمة منذ اللحظة الاولى طابعا جماهيريا واسعا ، فكتبت جريدة الاهرام عن المحاكمة فى ٢٢ ديسمبر ١٩٣٠ تقول :

« نظرا لاهتمام الجمهور بمثل هذه المحاكمة ، وترقب البوليس ازدحام الجلسة ، فقد ارسلت الحكمدارية قوة كبيرة من البوليس لحفظ النظام ، وكانت تلك القوة وفيرة العدد ، ولكنها مع الاسف لم تتمكن من ضبط النظام ، واحجمت فى مهمتها ، بالرغم مما اظهره فريق من رجالها من عنف واستعمال شدة ، وتطاول على الكثيرين ، وهو مما يؤسف له ، وقد أحضر رجال البوليس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الساعة الثامنة الاستاذ العقاد ، يحرسه احد الضباط ، وأجلس فى قفص الاتهام مع الاستاذ الخضرى ، وفى منتصف الساعة التاسعة فتحت قاعة الجلسة ، وتدفق الجمهور اليها واحتل جميع المقاعد ، بما فيها مقعد الصحافة ، فاضطر مندوبو الصحف الى التشتت والجلوس فى المقاعد الخلفية ، والوقوف على الاقدام ، وفى ذلك ما فيه من تعطيل لاداء مهمتهم ، ونحن نرجو ان يعنى حضرات الموكول اليهم فى حراسة النظام بهذه المسألة ، وحجز مقاعد لمندوبى الصحف . لقد ازدحمت قاعة الجلسة ازدحاما شديدا وظل عدد كبير من النظارة وقوفا خلف المقاعد » ... هذا هو وصف الاهرام الذى يكشف عن مدى اهتمام الرأى العام بهذه المحاكمة ، وقد استمرت المحاكمة عدة جلسات ، ثم نطق رئيس المحكمة بالحكم فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ ، وكان نص الحكم : « حكمت المحكمة بحبس المتهم الاول محمد فهمى الخضرى ستة أشهر حبسا بسيطا ، وحبس المتهم الثانى عباس العقاد تسعة أشهر حبسا بسيطا ، ونشر هذا الحكم بثلاث جرائد يومية ، بمصاريف على حساب المحكوم عليهما » .

وعلقت جريدة « الشعب » وهى جريدة اسماعيل صدقى ، وجريدة الحكومة الرجعية وحزبها المفتعل ، الذى أنشأه صدقى لمساندته فى الحكم وسماه باسم حزب الشعب ... علقت هذه الصحيفة الرجعية على هذا الحكم ، فى محاولة لتشويه صورة العقاد فقالت : « لما نطق سعادة الرئيس بالحكم على الخضرى بالسجن ستة شهور اعتقد العقاد ان المحكمة ستدينه ، فتطاول بعنقه وهو فى حالة عصبية ، حتى كادت قدماه لا تقويان على احتماله ، فاستند الى « درابزين » القفص ، فلما اطمأن الى الحكم بتسعة اشهر فقط استعاد بعض قواه وجلس » .

وجريدة « الشعب » بالطبع كانت تحاول التشهير بالعقاد ، تحقيقا لاهداف حكومة صدقى الارهابية المستبدة ، وقد كانت هذه الجريدة مكروهة من الشعب ، وكانت توزع عن طريق فرضها بالاكراه على عمد القرى والموظفين ، وكتبت نفس الجريدة تعليقا بعنوان « عظة القضية » وحاولت ان تنال من العقاد بنفس الطريقة السابقة ، وأن تشوه صورته وأن تسىء الى موقفه الوطنى الصلب ... قالت الجريدة فى نوع من التشفى الواضح الذى لا خفاء فيه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« هناك عظة يخرج شباب هذا البلد بها ، فلا تدفعهم مقالات يقرأونها فى الصحف من كتاب مهيجين ، الى أخذها قضية مسلمة ، فكم قرأوا من تهييجات العقاد افندى ، ما كانوا يتصورون معه انه مثل البطولة الاعلى ، أرسله الله ليقود الجحافل ، ويقتحم المعاقل ، وها هم رأوا كيف خارت عزيمته ، وارتعدت فرائصه ، من حكم أمكن لكثيرين من كبار الرجال الذين ساء حظهم أن يحتملوه فليكف الوفديون عن التحدث عن البطولة والابطال ، فانّ هذا الحادث كان دليل جبنهم بل مضرب الامثال ... وهكذا استطاع هذا الموقف البسيط ان يحنى بل ويسحق رأس الكاتب الكبير » .

أما جريدة مصر الوفدية فقد قالت ان العقاد قد تلقى الحكم بشجاعة ورباطة جأش ، ولا شك ان الصورة التى رسمتها جريدة « الشعب » هى صورة زائفة ، وهى نوع من الحرب النفسية التى شنتها الرجعية فى تلك الفترة ضد العقاد ، ذلك لان كتابات العقاد التى كانت سببا فى دخوله السجن ، كانت تنطق بشجاعته واستعداده لدفع الثمن ، كما ان هذه المقالات كانت تقطع بأنه يتوقع عقوبة من هذا النوع فى أى لحظة ، وبعد ان خرج العقاد من السجن واصل كتابته بنفس القوة والحماس والاندفاع ، مما يؤكد ان نفسية العقاد فى تلك الفترة لم تكن نفسية كاتب متردد خائف فاقد للشجاعة كما حاولت جريدة « الشعب » ان تصوره .

نعود الى الحكم بسجن العقاد ، فنجد ان المحكمة فى حيثياتها قد بنت هذا الحكم على أساس من تفسيرها لكلمتى « الرجعية والرجعيين » فى مقالات العقاد التى نشرها فى المؤيد الجديد سنة ١٩٣٠ ، فقد فسرت المحكمة هاتين الكلمتين ، بأن المقصود بهما هو الملك فؤاد ، وعلى اساس هذا التفسير اعتبرت مقالات العقاد عيبا فى الذات الملكية وحكمت بسجن العقاد .

قالت المحكمة فى حيثيات الحكم وهى الحيثيات التى نشرناها بالنص فى آخر هذا الكتاب كوثيقة تاريخية « ... من حيث ان المطلع على هذه المقالات اى مقالات العقاد ، يجد الادلة تفيض على أن المتهم الثانى ـ العقاد ـ قد اقترف جريمة العيب فى الذات الملكية الرفيعة ، فأسند اليها أمورا ليس فيها فقط اخلال بالواجب المفروض على كل فرد من الاجلال لهذه الذات السامية ، باسناد اعمال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لجلالته تؤذى شعوره ، وتظهره بمظهر المعتدى على حقوق الامة . ومن حيث ان القارىء للمقالات المشار اليها يجد ان « ص »[1] والعقاد قد تلاقيا عند نقطة الرجعية ، ووقع اختيارهما عليها ، وجعلاها عنوانا للمقام الاكبر الجليل ، الذى لا يجرآن على ذكره بالتصريح ، وهو مقام الملك المعظم ، لانهما ذكرا هذا اللفظ فى مناسبات وملابسات تاريخية وسياسية ، تصرفه حتما وبلا عناء فى التفسير والتأمل ، الى حضرة صاحب الجلالة الملك ، كما سيجىء البيان . وعليه فليست كلمة الرجعية فى المقام الذى ذكرت فيه ، واعتبرتها المحكمة بسببه دالة على جلالة الملك ، مقصودا بها كما قال الدفاع « كل فكرة او شخص او هيئة مسئولة الان او فيما مضى ، عن هدم دستور البلاد او العبث بحرياتها » ، وليس مثلها مثل عبارات الديمقراطية او الديماجوجية ، وليس مقصودا بها لا الاحزاب ولا الوزراء بل الذات الملكية ... »

ومن حيث ان المتهم الثانى « العقاد » كتب بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٣٠ ما يأتى « اعتقادى ان هذه الازمة هى ازمة الرجعية قبل كل شىء ، والرجعيون أعداء الدستور كانوا يتهيأون من زمن بعيد لالغاء الحياة النيابية ، او لابقائها ناقصة مشلولة تمكنهم من الحكم ، كما كان الطغاة المستبدون يحكمون فى القرون الوسطى ، وكانوا يتوهمون انهم قادرون على تأليف وزارة وفدية ، تتقدم الى البرلمان فتشطره شطرين ... الى آخر ما جاء فى هذه العبارة ، والمفهوم بداءة من ذلك : ان المتهم الثانى ـ العقاد ـ قصد بالرجعية والرجعيين جهة غير الوزارة الوفدية المراد تأليفها ، ذلك لان الجهة التى تستطيع تأليف وزارة او اسنادها ـ وهو المعنى المقصود هنا ـ جهة ذات سلطان ، وتعيينها على هذا الوجه يصرفها مباشرة الى جلالة الملك الذى يملك وحده حق اسناد الوزارة ـ والتعبير هنا بالرجعية والرجعيين واحد فان اللغة تجيز استعمال الجمع فى مقام المفرد تنويعا فى التعبير » .

---

١ ـ احد كتاب جريدة المؤيد الجديد وكان يكتفى بالتوقيع بالحرف الاول من اسمه ولعله صبرى ابو علم احد الشخصيات الوفدية البارزة فى تلك الفترة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم تواصل المحكمة تفسيرها لكلمة الرجعية على هذا الوجه نفسه وهو ان الرجعية عند العقاد هى الملك فؤاد ، فتقول : « ... ومن حيث ان المتهم الثانى « العقاد » كتب كذلك فى المقال الآنف الذكر ما يلى : « فلا يسعنى ان اعتقد ان كل هذا تدبير من الوزارة البريطانية ، وان الوفاق تام بين هذه الوزارة والرجعية ... هناك اختلاف ولا شك بين هاتين الجهتين ... » وظاهر جليا ان الكاتب اراد جهة الرجعية ذات مكان عال وسلطان عظيم ، وإلا لما استقامت هذه المقابلة ، فلا يمكن افتراض ان الكاتب قد قابل هنا بين سلطة الانجليز وسلطة الوزارة والافراد ، انما البادى للذهن ، والمتبادر للفهم ، انه انما يقابل بين جهتين عظيمتين ، هما جهة الانجليز ، وجهة صاحب الجلالة » .

« ومن حيث ان المتهم الثانى « العقاد » كتب فى المقال المؤرخ ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٠ العبارة الآتية : اتستطيع الرجعية ان تظن ظنا او تتوهم توهما ، انها هى التى طلبت ذلك « يشير الى الاستقلال » فكان ، او انها كانت تطلبه على اى وجه من الوجوه فيكون ، ـ اتستطيع ان تذكر لنا كلمة واحدة قالتها فى سبيل ذلك ، او تدبيرا واحدا دبرته ، او نية واحدة اظهرتها بأى نوع من انواع الظهور ؟ .. فهذه العبارة قاطعة فى الدلالة ، على ان المتهم انما اراد بلفظة الرجعية جلالة الملك ، لان معنى العبارة لا يستقيم بأى حال من الاحوال اذا كان المراد بالرجعية هنا الوزارة ، كما يقول الدفاع ، اذ المعلوم للكافة ان بعض رجالها على الاقل قام بما ينفى الكاتب صدوره من الرجعية ، انما اراد الكاتب ان يستغل جهل الجمهور بالتقاليد الملوكية ، التى تتنافى مع اظهار ما يبذله الملوك عادة فى هذا السبيل » .

« ومن حيث ان الكاتب « ص » كتب فى مقال نشر فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ وافق عليه المتهم الثانى « العقاد » فى مقاله المنشور فى ١٤ سبتمبر ١٩٣٠ » « ان الرجعية سعت فى انجلترا ليكون هذا التعديل فى صالحها ، ليحل استبدادها محل استبداد محمد باشا محمود ، فلما لم تفلح فى هذا المسعى ، وعادت الحياة الدستورية ، ارادت من وزارة النحاس باشا ان تكون آلة للاعتداء على حقوق الامة ، ولكن الوزارة النحاسية لم تكن لتقبل هذا ، فاستقالت حكيمة كريمة ، وهنا لم يكن للرجعية بد من احداث الانقلاب »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« والمحكمة ليست فى حاجة الى التدليل بأن الرجعية هنا انما يقصد بها جلالة الملك وليس أدل على ذلك من تلك المناسبات التى يذكرها الكاتب ، فليس فى هذا البلد هيئة سياسية فضلا عن افراد ، تستطيع ان تجعل وزارة النحاس باشا آلة للاعتداء على حقوق الامة ، بحيث اذا لم تقبل تضطر للاستقالة » .

هذه نماذج من تحليلات المحكمة التى ادانت العقاد ، وهى تحليلات تثبت مدى الارهاب الذى فرضه الملك فؤاد على القضاء ، فأصبح القضاة يحاسبون الكاتب حتى على نواياه ، ويحاولون - بجهد كبير - ان يثبتوا التهمة ضد الكاتب لارضاء الملك ، بما يذكرنا بمحاكم التفتيش التى كانت تحكم على الانسان لا بأفعاله واقواله فقط ، بل بنواياه الباطنية التى تفترضها المحكمة على هواها ، وعلى هوى ما تريد ان تصدره من احكام ظالمة ، هدفها تحقيق نوع من الارهاب القانونى ضد الكتاب ، ولمصلحة الملك والرجعية والانجليز .

وأمام هذه المحكمة وقف مكرم عبيد ببلاغته وقوة بيانه ووضوح حججه ، ليقدم دفاعا سياسيا عميقا رائعا عن العقاد ، ويعتبر هذا الدفاع من أجمل وأعمق ما تردد فى المحاكمات الفكرية ، فى تاريخنا العربى المعاصر . وقد حرصنا على نشر نص هذا الدفاع فى آخر الكتاب كوثيقة تاريخية .

حدد مكرم عبيد القضية منذ البداية « على انها مأساة أمة تمثلت فى مأساة فرد » ويقول مكرم بعد ذلك : « الواقع ان هذه القضية التى تبدو فى الظاهر بين النيابة والاستاذ العقاد هى فى الحقيقة بين الرجعية والدستور ، أو هى بالاحرى بين مبدأى التأخر والتقدم ، أيا كان الشكل الذى قد يتخذه كل من هذين المبدأين ، او الاسم الذى يتسمى به فى مختلف الازمنة والظروف ، وما العقاد الا خصم للرجعية عنيد ، انهال عليها بضربات قاتلة ، رأت الا قبل لها بها ، فاعتزمت ان تنكل به قبل ان ينكل بها ، ولما لم تقو عليه فرت الى السدة الملكية تتعلق بركابها ، وتتمسح بأعتابها ، ولم تستح ان تتخذ منها ستارا لعيوبها ، فأسندت العيب للذات الملكية والعيب كل العيب فيها » .

ثم يحدد مكرم عبيد معنى الرجعية التى يحاربها العقاد بعنف فيقول :

« ولكن ما هى الرجعية التى عناها العقاد ؟ هى كل فكرة او هيئة او شخص مسئول عن العبث بالدستور ، او بحريات البلاد فى اى زمن من الازمان ، وبما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان نفس الدستور الذى استمات العقاد فى الدفاع عنه ، يقضى بأن الملك غير مسئول ، وان ذاته مصونة ، فلا يمكن ان ينصرف لفظ الرجعية الى الذات الملكية ، لا موضوعا ولا قانونا » . ثم ينتقل مكرم عبيد بعد ذلك الى تحديد واسع لمعنى الرجعية ، وانصار التقدم والحرية ، وهنا يحاول مكرم ان يستفيد من قضية العقاد لكى يؤكد معنى رئيسا ، كان مكرم عبيد احد رموزه البارزة فى المجتمع المصرى فى تلك الفترة ، واقصد بهذا المعنى « الوحدة الوطنية » بين المسلمين والاقباط ، من خلال الدين المسيحى والدين الاسلامى معا ، وبذلك يلعب مكرم دوره فى الربط بين مشاعر المسلمين والمسيحيين من خلال القضية الوطنية ... قضية العقاد ، وهو من ناحية ثانية يقدم تفسيرا سياسيا دقيقا وذكيا للنضال الدينى للانسان .

يقول مكرم عبيد :

« لو ان هذه القصة هى الوحيدة من نوعها ، لجاز ان يكون تصويرنا لها ، وتعليلنا لاسبابها محل ريبة وتشكك ، ولكن الدليل لا يعوزنا ، على ان الرجعية فى صراعها الدائم مع خصومها ، طالما لجأت الى مثل هذا السلاح المعيب ، وهو التحكك بالعرش ، وشخص الجالس عليه ، من غير ان يكون للعرش اى شأن قريب او بعيد فى الخصومة ، واليكم بعض الامثلة على ما ذكرناه ، وهى امثلة رائعة لا يأتيها الباطل من اى ناحية من نواحيها » .

« .. منذ امد بعيد ينوف على الالف وتسعمائة سنة ، ظهر بين الناس رجل من رجال الله الاطهار ، هو كلمة الله وروح منه ، ولكنه كان بين الخلق متواضعا فقيرا ، لايكاد يجد لجسمه غطاء ولا مثوى ، حتى انه كان يقول عن نفسه : ان لطيور السماء أوكارها ، وليس لابن الانسان مأوى ، وكانت رسالته الى الناس ان اعبدوا الله عبادة الروح والحق ، وانبذوا من الدين تقاليد الرجعيين من رجاله ، اذ هى ليست من الدين فى شىء » .

« خصومة دينية كما ترون ، ولكن الرجعيين من رجال الدين ، لم يجدوا سبيلا للانتقام من خصمهم الا ان ينصبوا له شراكا ليتهموه بعدم الولاء لقيصر صاحب العرش ، ورغم قوله صراحة « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فانهم شكوه الى الحاكم الرومانى مدعين انه طعن على قيصر ، ولو ان لخصومه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لسان النيابة المصرية لقالوا بالامس ما تقوله هى اليوم « انه عاب فى الذات الملكية » .

« الا ترون يا حضرات المستشارين ، كيف تلجأ الرجعية حتى فى المسائل التى لا شأن لها بالملك ولا بالملوك ، الى الانتقام من خصومها ، باتهامهم بالعيب فى الذات الملكية ؟ وهل لا ترون بأن الرجعيـة هى اليوم والامس والى الابـد واحدة فى تفكيرها وتدبيرها » .

« ساقوا المسيح الى المحاكم فأخذت الحاكم الرومانى روعة من رنة صوته ، وجلال صمته ، ولما تبينت له براءته من كل عيب اسقط فى يده ، ولم يدر ما عساه يفعل ، ولعله أحس فى النفس حسرة ، او خشى من الضمير ثورة ، فأمر باحضار إناء من الماء وغسل يديه أمام الجميع ، ثم صاح قائلا : « انى برىء من دم هذا البار » ولكن واأسفاه ! فانه برغم مسئوليته واعلان حياده التام ، سلم المتهم البرىء الى خصومه الرجعيين ، وكان اسمهم وقتئذ الفريسيين ، وأمر جنده من الرومان ان يرقبوا التنفيذ فأحاطوا به مهددين مستهزئين » .

ثم تحدث مكرم عبيد بعد ذلك عن الرجعية التى واجهت محمدا «ص» فى الصحراء العربية عندما بدأ دعوته الجديدة النبيلة : « لم يكد يمضى على هذا الحـدث الجلل قرابة ستمائة عام ، حتى ارتفع من صحراء العرب صوت رهيب عذب ـ ينذر الكافرين فتهلع النفوس لدويه ، ويبشر المؤمنين فتنفتح القلوب لوحيه ... بدأ الرسول الامين بتبليغ رسالته الى بنى قومه ، فدعاهم الى عبـادة ربهم ، وتحطيم اصنامهم ، وما كان لقومه وقد عرفوا فيه الامانة والقناعة والوداعة ان يسندوا اليه مطمعا خفيا ، او يظنوا انه كان يبغى من متاع الدنيا شيئا ، وهو الذى كان يدعو باسم ربه الى الآجلة دون العاجلة ، ولكن زعماء الجاهلية الاولى ـ والجاهلية هى هى الرجعية ـ اتهموه بـالطعن على حكمهم ، والطمـوح الى سلطانهم ، وتمادى بهم الوهم الى حد ان عمه أبا طالب فاتحه فى ذلك ، ولوح له بالحكم والسلطان ، على ان يتنازل عن رسالته ، فما كان من النبى الكريم الا ان قال له : « يا عم ـ لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على ان اترك هذا الامر ما فعلت ، حتى يظهره الله او اهلك دونه » . اذن : يستخلص من هذين المثلين الرهيبين ، اللذين هما محل ايمان واجماع ، ان الرجعية لا تتورع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى فى المسائل الدينية والنفسية البحتة ، عن اتهام خصومها بالمساس بنظام الملك ، او بشخص ولى الامر ، وذلك تحقيقا للنكاية بهم ، وإمعانا فى الانتقام منهم » .

ثم يقول مكرم عبيد بعد هذا التفسير السياسى للمسيحية والاسلام متحدثا عن قضية العقاد :

« ... فكيف الامر فى قضية كقضيتنا هذه ، تتصل مباشرة بالشئون السياسية والنظم الحكومية ؟ هل من عجب اذا كانت الرجعية السياسية او الحكومية تنقم على الاستاذ العقاد دفاعه الباسل عن المبادىء والنظم الدستورية ، فترميه بتهمة العيب فى الذات الملكية ، وترى من السهل عليها ان تقلب بشىء من التحوير والتفسير والتنقيب بين السطور ، الطعن البرىء فى نظام الحكم الى عيب فى شخص الملك ؟ » ثم يقول مكرم عبيد :

« لا عيب ولا غرابة ، بل الغريب ان نتطلب من الرجعية اساليب غير رجعية ، ولا حياة للرجعية فى جو من الانصاف والحرية » .

ثم يواصل مكرم عبيد دفاعه السياسى المجيد ، فيكشف ان المؤامرة على العقاد ، والرغبة فى الزج به الى السجن ، هى جزء من المؤامرة على الامة كلها ... على حرياتها ودستورها ، ورغبتها فى التقدم والتطور ...

يقول مكرم عبيد :

« ... أما نفسية العقاد بازاء الرجعية الحكومية ، فهى من نفسية الامة جمعاء ، ومثلها مثل رجل رأى بيته عرضة للزلازل والعواصف ، فشرع فى تدعيم جنباته وسد فتحاته ، فجاءت الحكومة غاضبة صاخبة ، وهدت البيت على رأس صاحبه ، ولم تجد لها عذرا فى تحطيمه ، الا ان المسكين شرع فى تدعيمه » .

« واذا كان للعقاد صفة تمتاز بها شخصيته كرجل ، او عبقريته ككاتب وشاعر ، فهى الصراحة التى تأبى المداراة والمواربة ، أو اللف والدوران على حد تعبيره فى بعض مقالاته ، ولو ان النيابة تفهمت نفسيته ، لادركت ان مثل هذه الصراحة ، تأنف ان تستتر وراء لفظ او عبارة ، وانها تعنى ما تقول وتقول ما تعنى » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« بيد ان هذه الصراحة نفسها ، هى التى حفزت خصومه الى المبادرة بتكميمها . فقد كان العقاد صريحا وجريئا فى هجومه على الرجعية وفضح نياتها ، وكان اول من عناه بالرجعية الوزارة الحالية « وزارة اسماعيل صدقى » كما هو ظاهر من مقالاته . والوزارة خافت اول الامر من تلك الصراحة ، فحاولت اسكاتها بتعطيل الجرائد التى تولى أمرها غيره ، من الكتاب الاحرار ، وها هى اليوم تسوقه الى المحاكمة كما فعلت مع غيره ، وكما ستفعل مع غير هذا الغير من بعد ، اذا طال بهذه الوزارة العهد » .

ثم يقارن مكرم عبيد بعد ذلك بين عقلية العقاد ، وعقلية الرجعية التى يمثلها صدقى وحكومته : « عقليتان احداهما لمصرى حر ، وكاتب فذ ، ونائب من نواب الامة ، رأى البرلمان يغلق ، والاقلام تحطم ، ودعائم الدستور تقوض ، وحرياته تنقص ، فشحذ قلمه ولسانه وفكره ، وهى كل اسلحته ، لمحاربة الرجعية ، والذود عن دستور الامة ، الذى أقسم يمين الولاء له ، والدفاع عنه ، وما كان لمثل العقاد ان يحنث بيمينه واليمين حبة من قلبه ، وعهد الى ربه ، والعقلية الاخرى عقلية وزير تسنم ذروة الحكم على أنقاض الدستور ، وكان مبيتا النية على هدم الدستور ، حتى قبل ان يتولى الحكم ، كما اعترف بذلك فى حديث له الى جريدة المقطم » .

ثم تحدث مكرم عبيد بعد ذلك عن اجراءات اسماعيل صدقى لخنق الحريات ، وموقف العقاد من هذه الاجراءات . واستعان مكرم فى هذه الفقرة بأبيات لخليل مطران ، دون ان يذكر اسم الشاعر .. يقول مكرم :

« ... ولقد ثارت لهذه الاجراءات الخانقة نفس العقاد الحرة ، فكتب بقلم من نار ، محذرا الوزارة وانصارها من مغبة هذه الاساليب الرجعية ، منذرا اياهم فى أحدى مقالاته بأنه اذا حطمت الاقلام فالالسنة تنطلق ، واذا كممت الافواه فالنفوس تشتعل وكأنه يقول مع القائل :

كسروا الاقلام هل تكسيرها ... يمنع الالسن أن تنطق جهرا
قطعوا الالسن هل تقطيعها ... يمنع الأعين أن تنظر شذرا
أغمضوا الاعين هل إغماضها ... يمنع الأنفاس أن تخرج زفرا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلكم بيان موجز لنفسيه العقاد ، ونفسية خصومة ، ومنه ترون ان العقاد كان له نصيب الاسد ، فى محاربة الرجعية . فلا عجب ان يكون له اكبر نصيب من نقمتها » .

ويسجل مكرم عبيد بعد ذلك ملاحظة دقيقة وهى : أن « القانون » ليس شيئا مثاليا مطلق العدالة ، بل هو انعكاس لنوع السلطة ولونها ، فان كانت سلطة ارهابية طاغية ، انعكس هذا الطابع الارهابى على نوع القوانين وطريقة تنفيذها . ويقول مكرم عبيد مسجلا هذه الظاهرة ومستنكرا لها :

« ... ولكن اذا لم نعجب من عقلية الوزارة وتصرفاتها الرجعية ، فالعجب ان تكون النيابة ـ وهى الامينة على الدعوى العمومية ـ أداة للرجعية ، وسوطا لنقمتها ، فلم تكتف بأن اتهمت العقاد حيث لا تهمة ، بل سايرت الوزارة فى سبيل الانتقام منه ومن قلمه ، فقررت القبض عليه ، ومعاملته فى السجن معاملة اللصوص ، وفاتها انها بحبس العقاد قد غيبت قلمه ، وفضحت نفسها ، فاتها انها هى نفسها ، وفى تهمة كهذه التهمة نفسها ، لم تقرر القبض على متهم آخر ، لا لسبب الا انه لم يكن عباس العقاد » . ثم يذكر مكرم بعد ذلك النموذج الذى يثبت وجهة نظره ، وهو تغير موقف القانون « بتغير نظام الحكم » :

« ... ما معنى القبض على العقاد وعدم القبض على غيره فيما مضى ، كالاستاذ محمود عزمى مثلا ،! والتهمة واحدة فى الحالتين . والنيابة هى هى لم تتغير . فما الذى تغير اذن ؟ ... هو نظام الحكم ولا ريب . فقد كانت الوزارة وقتئذ دستورية شعبية ، وأصبحت الان استبدادية رجعية . هى الرجعية اذن التى تحرك النيابة ، فتنطق بلسانها وتقبض بسلطانها . أليس كذلك يا رجال النيابة ؟ وإلا فأفتونا كيف تكيلون بكيلين .. فتحللونه عاما وتحرمونه عاما » .

ثم يتحدث مكرم عبيد بعد ذلك عن مرض العقاد ، وسوء معاملته فى السجن ، ويورد مكرم نص رسالة ارسلها العقاد يقول فيها لمدير السجن :

« اننى اذا قلت يا صاحب السعادة : ان الرطوبة فى الزنزانة تتلف صحتى ، وتعرض حياتى للخطر ، فلست اقول غير الواقع ، الذى يتساوى فى العلم به الطبيب وغير الطبيب ، فاننى أصبت فيما مضى بالالتهاب الرئوى والنزلات الشعبية ، وحالة الانف والحنجرة والصدر ، هى عندى معرضة للنزلات التى لا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يسهل شفاؤهامع جو الرطوبة . بل لا تزيدها الرطوبة الا تفاقما واشتدادا ، وهذا عدا عسر الهضم المزمن ، ومرض الاعصاب ، ومن كان فى مثل هـذه الحالة ، يحتـاج الى الشمس حاجتـه الى الحياة ، ويتـوقى الرطوبة كمـا يتوقى السم القاتل » .

ثم يقول العقاد فى رسالته الى مدير السجن ، والتى قـراها مكـرم عبيد فى مرافعته :

« خلاصة ما اقول ان صحتى تتلف فى هذا الجو الرطب الذى اعيش فيه ، وأن حياتى نفسها معرضة للخطر ، واننى لا اطلب الا الشمس فى المكان الذى ابيت فيه ، وليس من العسير تدبير ذلك » .

ويعلق مكرم عبيد على هذه الرسالة فى مرافعته فيقول :

« أليس هـذا هو التعـذيب بكل معـانيه فى عصـرنا هـذا ، عصر المـدنيـة والنور ؟ ... سجين مريض بصدره يطلب الشمس فيحرمها ؟ ! ورجل فـذ من أنبغ الكتاب المصريين ، وأكبرهم نفسا ، وأطهرهم يدا ، يرجو ان ينتقل الى سجن الاجانب ، ليعامل كما يعامل القتلة واللصوص من الاجانب فيستكثـرون عليه ذلك » .

ثم يركز مكرم عبيد بعد ذلك فى دفاعه على تحديد معنى الرجعية عند العقاد ، ليؤكد ان العقاد لم يكن يعنى الملك ، وانما كان يعنى « كل فكرة او شخص او هيئة مسئولة الان ، او فيما مضى عن هدم دستور البلاد والعبث بحرياتها ، وأن لفظ الرجعية لا ينصرف لا فى مبناه ولا فى معناه الى شخص الملك ، سيما وأن الدستور يخلى جلالته من المسئولية ، وينص صراحة على ان اوامر الملك الشفهية او الكتابية لا تخلى الوزارة من المسئولية » .

ويسخر مكرم من موقف النيابة التى تتهم العقاد بـالعيب فى الذات الملكية فيقول :

« ... اما الدليل الاول والاكبر الذى ترتكز عليه النيابة فى تحقيقها ومرافعتها ، فهو من أغرب ما رأينا من ابواب التدليل . فتقول النيابة ان عبارة الرجعية تعنى جلالة الملك . ولماذا ! ؟ لانها لا يمكن ان تعنى الا جلالة الملك . وهنا يتساءل العقاد ايضا لماذا هذا والعبارة عامة لا ذكر فيها لشخص معين ، فتجيب النيابة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بصوت الظافر المنتصر : نعم ... فان عدم ذكرك لشخص معين ، هو الدليل على انك تقصد صاحب الجلالة الملك ... »

ويمضى مكرم عبيد بعد ذلك فى تحليل مقالات العقاد ، لاثبات المعنى العام الذى كان يقصده من الرجعية ، وأنه لم يكن يقصد الملك بهذه العبارة ...

يقول مكرم عبيد :

« ان الرجعية هى من العبارات المصطلح عليها ، والتى تستعمل لذاتها ، فيفهم الناس مدلولها بمجرد الاطلاع عليها ، من غير حاجة الى تعيين اشخاص او نظم ، مثلها فى ذلك مثل عبارات الديمقراطية ، والارستقراطية ، والديماجوجية ، والاستعمار الخ وليس أدل على ما ذكرنا من تعريف الاستاذ العقاد نفسه للرجعية ، فقد سئل منذ أول التحقيق عن المعنى الذى يقصده من كلمتى الرجعية والرجعيين فى مقالاته فأجاب من غير تردد « الرجعية هى مجموعة عوامل مختلفة ، تكره التقدم ، وتدعو الى الجمود على القدم فى كل شىء ، سواء كان سياسة أو اجتماعا أو تفكيرا ، وهى قديمة العهد فى مصر بطبيعة تكوينها ، ولها مظهر تبدو به فى كل ظرف من الظروف فى تاريخ النهضة المصرية » ـ ثم تكلم عن الرجعيين فى الادب والدين إلى أن قال . « وفى السياسة يوجد رجعيون يكرهون الدستور ، ويشيعون عنه اشاعات باطلة ، ويستعينون على هدمه بطلاب المصالح الشخصية ، وقد كان هؤلاء الرجعيون موجودين فى مظهر من المظاهر قبل خمسين سنة » .

نكتفى بهذا القدر من تلخيص دفاع مكرم عبيد عن العقاد ، ويستطيع من يحب مراجعته ، أن يقرأه فى آخر هذا الكتاب ، حيث حرصنا على نشره كاملا ، كما سبقت الاشارة لقيمته كوثيقة تاريخية . على ان هذا الدفاع السياسى والقانونى الممتاز ، الذى قدمه مكرم عبيد عن العقاد ، لم يغن شيئا امام المحكمة التى ادانت العقاد ، وان كانت قد سجلت تقديرها لجهد مكرم عبيد بقولها ، فى حيثيات الحكم : « ان الدفاع عن المتهم الثانى ـ العقاد ـ قد بذل جهدا محمودا ، محاولا طى هذه الصحف التى سودها المتهم المذكور بقلمه ، وإسدال ستر على ما فيها ، ولكن الجهد مهما بلغ ، ما كان ليستطيع أن يدارى جريمة واضحة ، وأدلة قائمة بينة ، بل أن مهمة الدفاع كانت فوق كل مجهود ، والتهمة لا دافع لها » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا انتقمت الرجعية سنة ١٩٣٠ من العقاد ، ولكن هذا الانتقام لم يستطع ان يمحو اثر كلمات العقاد القوية فى نفوس الجماهير ، حتى لقد كانت المحاكمة نفسها تشهيرا بالرجعية ، وتمجيدا لقلم العقاد الحر . حيث استفاد مكرم عبيد من دوره كمحام ليؤكد آراء العقاد ، ويدافع عنها ، ويرددها ويشرحها ويفسرها ، فجاءت المحاكمة فصلا آخر ، من فصول الحرب العنيفة التى شنها العقاد، مع القوى الوطنية فى مصر ضد الرجعية ، ممثلة فى الملك وفى حكومة اسماعيل صدقى سنة ١٩٣٠ . وفى السجن قام على ماهر وزير الحقانية فى وزارة صدقى ، بزيارة العقاد ، ولكن العقاد رفض أن يرد تحية على ماهر ، بل استقبله وهو مستلق فى سريره ، وقد مد رجليه وجعل حذاءه فى وجه الوزير ، ويبدو أن العقاد قد أحس بأن على ماهر كان يزوره ليتشفى فيه ، كما أن على ماهر ـ من ناحية ـ كان الوزير المسئول عن القضاء ، ولا شك أن القضاة الذين حاكموا العقاد وأدانوه ، قد فعلوا ذلك بتوجيه وتشجيع من وزير الحقانية ، فهو مسئول بالمشاركة فى محاكمة العقاد ، وفى ادانته والحكم عليه بالسجن ، على أن على ماهر يقول أن زيارته للعقاد فى السجن ، كانت محاولة بريئة من جانبه ، للاطمئنان على العقاد ، والتخفيف عنه ، ولم تكن محاولة للتشفى والانتقام ، ولكن الذى لا شك فيه ، ان على ماهر كان احد المسئولين الرئيسيين عن محاكمة العقاد وسجنه ، ولا يمكن تبرئته من مسئولية هذه الجريمة التاريخية .. وعندما خرج العقاد من السجن لم يخرج متخاذلا خائفا ، بل استمر فى هجومه على الرجعية منذ اليوم الاول ، وكان استمراره فى معركته عاملا من العوامل القوية ، التى ساهمت فى اسقاط حكومة اسماعيل صدقى سنة ١٩٣٤ ، لقد انتهى طغيان صدقى ، وكان للعقاد فى القضاء على هذا الطغيان دور كبير واضح ، وهو دور مشرق ومشرف معا . وفى اليوم الذى خرج فيه العقاد من سجن مصر العمومى بالقلعة ، فى ٨ يونيو سنة ١٩٣١ ذهب إلى ضريح سعد ، وألقى هناك قصيدته المشهورة ، التى يؤكد فيها ولاءه للثورة الوطنية ، والتى قال فيها مشيرا الى الشهور التسعة التى قضاها فى السجن :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر ... وهأنذا فى ساحة الخلد أولد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عداتى وصحبى لا أختلاف عليهما سيعهدنى كل كما كان يعهد

وكتب العقاد بعد خروجه من السجن مقالا بعنوان « بقية من مداد » نشره فى جريدة مصر فى ١٥ اغسطس سنة ١٩٣١ ... وفى هذا المقال يتحدث عن القلم الذى تسلمه من « الامانات » ، بعد خروجه من السجن . وتصور ان هذا القلم بعد تسعة اشهر من السجن ، لابد ان يكون خاليا من المداد ، ولكنه فوجىء بأن مداده القديم مازال فيه ... أو فيه منه بعض القطرات ، وفى كلمات شعرية جميلة يتحدث العقاد عن قطرات المداد التى وجدها فى قلمه ، ويتحدث من خلالها عن واجب الكاتب ورسالته ، وفى هذه الكلمات يكشف العقاد عن اصراره على موقفه الوطنى بعد خروجه من السجن وحرصه على ان يواصل رسالته ويؤدى دوره كاملا دون خوف او ارتباك ، بعد ما اصابه من السجن والاضطهاد ... يقول العقاد فى هذا المقال الجميل ـ ولعله اول مقال كتبه بعد خروجه من السجن ، منددا بارهاب صدقى وحكمه الرجعى الذى بدل الدستور ، وأراق دماء الاحرار فى الطرقات :

« قطرات من المداد ، بعد زهاء مائتين وسبعين يوما فى غيابات السجون ... يا لك من قطرات كريمة فى قلم كريم ! . وتريدين ايتها القطرات ان تلمسى النور كما كنت تلمسين ، وتريدين ان تؤدى الامانة كما يجب ان تؤدى ، وان تقولى فى هذا الزمن الاسود أشد من سوادك ـ كل ما يجب ان يقال ؟ يالك اذن من قطرات كريمة فى قلم كريم ! .

« انك اذن لا تعلمين ما حدث بعدك فى مصر ، وما يحدث فيها من غير وكوارث ، لا يحصرها قلم طليق ولا حبيس ، ولا يشملها حساب عسير ولا يسير ... انك اذن لا تعلمين ان دستورا تبدل ، وشريعة نسخت ، وارواحا فاضت على قوارع الطرقات ، أرخص ما تفيض الارواح وبيوتا اصبحت سجونا لساكنيها ، وسجونا اصبحت بيوتا للمحشورين فيها ، وحقا هان ، وباطلا عز ، ونفوسا آدمية بات كل ما عندها من حرية تحت سماء الله وفوق ارضه ان تأكل وتشرب ، ان وجدت سبيلا الى الشراب والطعام ... انك اذن لا تعلمين كل هذا ، ولا تعلمين فيما حدث كل هذا ... لا تعلمين انه من اجلك انت ومن اجل مثيلاتك من أقلام الكاتبين ، وكلمات الناطقين ، قد وضعت هذه الاسوار ، وأرصدت هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الارصاد . ولا تعلمين كيف اعتد قوم لكل قطرة منك طوفانا من المدافع والحدود ، وبركانا من البروق والرعود ، ولا تعلمين كيف فزع منك ومن مثيلاتك ايما فزع ، وفيما اتقوك انت ومثيلاتك ايما اتقاء ، فلو كنت سيلا من سيول العرم تجرفين وتعصفين وتفرقن وتزهقين ، لما خافوك بعض هذه المخافة ، ولا تحصنوا منك بعض هذه الحصانة ... فى قوانين الصحافة » .

« انت لا تعلمين هذا ولا تعلمين اى طراز من القلم يريدون ، واى صفة من صفات القلم يشرطون . فأما عهدك بهذه الاداة الضعيفة المخيفة ، فذاك ان تريها جواد ميدان بكر بفارسه ، حيث يحمله الاقدام ويدفعه الواجب وتدعوه حومة الجهاد » .

« وأما شرطهم فى هذه الاداة الضعيفة ، فذاك ان يروها حصان بهلوان ، يظل حياته يقفز بين الحواجز ، ويرقص على الطبل ، ويركع بين يدى النظارة ، وتحت هوامز المرتزقة بالالاعيب » .

« شرطهم ان يكون المداد أرخص مبذول ، وهو حين يحمل امانة الضمير اغلى من الدم الغالى ، وأصون من ماء العيون : فهل تريدين بعد هذا ايتها القطيرات ، ان تؤدى الامانة كما يجب ان تؤدى ، وأن تقولى فى هذا الزمن الاسود ، اشد من سوادك ـ كل ما يجب ان يقال ؟ »

ويختم العقاد مقاله المؤثر الجميل بقوله :

« فعلى بركة الله ايتها البقية من مداد ، وعلى بركة الله كل قطرة تلحق بك وتجرى فى مجراك . شأنك والحرية ! ولا شأنك معنا ولا شأن مثيلاتك طول العمر ، الا كشأن كل فيض لا يغيض وكل مد لا ينفد وستنظرين وينظر القوم غدا ، انك لن تفقدى ـ بعد ـ قطرة تشيعينهم بها كما شيعت غيرهم ، وتذكرينهم بها كما يطيب للناس ذكرهم ، وسيبحثون هم يومئذ عن بقية مداد فى أقلامهم ، يصدرون بها الاوامر ويصوغون بها القوانين فلا يجدون ... ولا تغنى عنهم الاوامر ولا القوانين » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا التزم العقاد بعد خروجه من السجن بنفس موقفه قبل السجن .. التزم بأن يكون كاتبا ثوريا حرا ، معبرا عن آمال الشعب ومطالبه ، وعدوا لا يهدأ للرجيعة ومؤامراتها على الحرية والدستور والوطن .

وقد واصل العقاد بالفعل موقفه بنفس الصلابة والقوة ، حتى حوالى سنة ١٩٣٧ ... وبعدها انتقل من موقفه الثورى ، الى مواقع الرجعيين ، تحت تأثير ظروف عديدة ، سوف نعرض لها فى الفصول القادمة من هذا الكتاب .

ومن المصادفات الغريبة ان يصدر العقاد عن حياته فى السجن كتابا ، هو « عالم السدود والقيود » ، وقد أصدر هذا الكتاب سنة ١٩٣٧ ، بعد ان انتقل من معسكر الثورة الوطنية ، الى معسكر الرجعيين ... ومن هنا جاء هذا الكتاب بعيدا تمام البعد عن تصوير حقيقة قضية العقاد ، وصراعه السياسى العنيف ضد الرجعية ... لقد اقتصر العقاد على تسجيل ملاحظاته الانسانية والنفسية « السيكولوجية » على السجن والسجناء ، فهو يتحدث عن ضرورة توفير اسباب العلاج الجسدى والنفسى للسجناء ، ولا يتعرض ابدا فى هذا الكتاب لقضيته الحقيقية ، أو لاسباب سجنه ، وكأنه كان مسجونا فى حادث سرقة، او هتك عرض ، او جريمة قتل ، ولم يكن مسجونا من اجل فكرة حرة ودعوة ثورية ! .. ان العقاد لا يتعرض فى هذا الكتاب لمعركته مع الرجعية وصراعه ضدها ، وهو الصراع الذى ادى به الى السجن . لقد تجاهل العقاد فى كتابه هذا الجانب من جوانب قضيته ، وهو جانبها الاساسى ، ولذلك جاء الكتاب قاصرا كل القصور ، وضعيفا أشد الضعف ، وهو بعد ذلك محاولة من العقاد ، لطمس معالم قضيته السياسية ، ولا تفسير لذلك الا انه كان فى تلك الفترة ، سنة ١٩٣٧ ، يسعى الى الصلح مع الرجعية ، التى كانت معركته ضدها سببا فى سجنه ... لقد بدأ العقاد صلحه مع الرجعية بهذا الكتاب الغريب « عالم السدود والقيود » ، وحرص على الا يذكر موقفه فى البرلمان ضد الملك فؤاد ، ولا كتاباته الثورية المتطرفة ضد الرجعية ، ولا حقيقة المحاكمة الارهابية التى أعدت له كلون من الوان العقاب والتهديد والتأديب ، وبذلك حاول العقاد أن يطمس صفحة من اغلى صفحات تاريخه الوطنى والسياسى ، فى سبيل صلحه مع الرجعية ... وكأنه يطلب منها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغفران ، ويقدم شهادة ميلاد جديدة له ، يريد بها من الرجعية ان تنسى ماضيه وتغفره فى نفس اللحظة .

وقد نسيت الرجعية ماضى العقاد وصفحت عنه ومدت اليه يدها سعيدة بأن تكسب كاتبا مثله بين صفوفها ، وكان هذا الكتاب بأكمله عملا مؤسفا ، بدأ به العقاد طريقا جديدا فى السياسة ... فبعد ان كان كاتب الشعب اصبح كـاتب الرجعية .

على ان قصة العقاد مع الثورة الوطنية لم تنته بعد ، وماتزال فيها صفحات مشرقة أخرى ، قبل ان نصل إلى سنة ١٩٣٧ .